أسرار الشخصية

والطريق
للشخصية المتكاملة

عاطف عمارة

طريقك إلى..
الشخصية المتكاملة



مقدمة

تعتبر دراسة الشخصية من أهم فروع علم النفس، وقد تطور علم النفس كثيراً وتشعبت موضوعاته وفروعه وتشابكت هذه الموضوعات حتى أصبح من المتعذر على الباحث أو القارىء، معا الإلمام بموضوع واحد دون أن تكون هناك الخلفية المعرفية الكافية بسائر الموضوعات الأخرى فدراسة الشخصية مثلاً تتطلب معرفة بفروع علم النفس الأخرى مثل: التعلم والتفكير والذكاء والإدراك ودراسات التحليل النفسى والطب النفسى.

ولما كانت مثل هذه الخلفية المعرفية غير متاحة، فى مرحلة من المراحل - خاصة للقارىء العادى - فقد حاولنا فى هذه الكتاب أن نقدم إلمامة عامة عن موضوع الشخصية، وليس من شك فى إن هذه الإلمامة ينقصها الكثير من التفاصيل النظرية، فلم يكن من طموحاتنا فى هذا الصدد أن نقدم للقارىء ما يمكن اعتباره مرجعاً متخصصا فى علم نفس الشخصية، وإنما هدفنا هو تبسيط المعارف النفسية عموما، وموضوع الشخصية خصوصا.

لذلك كان تركيزنا فى هذا الكتاب على أهم وأبرز وأشهر النظريات التى تناولت الشخصية عبر تاريخ تطوير علم

النفس، وكان من الطبيعى فى ضوء مثل هذا الهدف أن يقصر جهدنا عن تناول نظريات الشخصية جميعاً وعددها أكثر من ١٧ نظرية يتطلب شرحها وتفصيلها ما لا يقل عن ٨٠٠ صفحة، والأمر الذى يخرج عن الإمكان والمتاح حاليا.

لذلك راعينا فى كتابنا هذا أن نقدم صورة عامة، موجزة، لأبحاث الشخصية فى علم النفس، وهى صورة على إيجازها تعتبر كافية ومنهجية وعلمية، وهى مع ذلك لم تقتصر على البحوث النفسية فى مجال الشخصية، إنما حاولنا أيضاً أن نقدم بعض الاختبارات العملية النفسية لكى يستفيد منها القارىء فى التطبيق العملى، وراعينا - أيضاً - أن نقدم هذه البحوث المختارة فى أبسط شكل ممكن، لأن دراسة الشخصية ليست من الأمور السهلة، وإنما هى من أعقد موضوعات علم النفس.

ومع ذلك كانت الشخصية ـ ومازالت وستظل ـ من أكثر الموضوعات إثارة وتشويقا، ومن أكثرها قرباً إلى النفس، فقد دأب الإنسان على السعى إلى معرفة أسرار نفسه وتكوين شخصيته، والوقوف على العوامل المؤثرة فى تكوين أفكاره وميوله وسلوكه ، وتوجيه ذاته، وصياغة قيمه وعاداته، ثم هو أكثر ولعا لمعرفة نوع الشخصية التى تنتمى إليه، طالما كانت

الشخصية تتباين وتختلف بين الناس وتندرج تحت مسميات مختلفة جعلها الناس أنفسهم من المسميات الدارجة والشائعة، وإن كانت هذه المسميات تختلف عما تطرحه نظريات الشخصية المعروفة فى علم النفس، بما فى ذلك أقدم النظريات، وهى نظرية الأنماط والأمزجة.

ونحن نعترف بأن هناك الكثير من الأسئلة التى لم يتمكن هذا الكتاب، لأسباب مختلفة من الإجابة عنها، ومنها على سبيل المثال: كيف تتكامل الشخصية؟ فإجابة مثل هذا السؤال، خاصة تقتضى منا أن نخصص له دراسة قائمة بذاتها عن «الشخصية المتكاملة». فأحد أهداف هذه السلسلة هو أن نقدم مجموعة من الكتب التى تغطى المعرفة النفسية بصورة مبسطة ومتكاملة، ولعل هذا التكامل نفسه يغفر لنا ما فرضته علينا طبيعة الايجاز من إهمال لبعض التفاصيل، إلا أن ذلك لا يجوز فى نظرنا أن يتخذ ذريعة لتقديم صورة مبتسرة أو مشوهة لموضوعات أبحاث هذه السلسة لإن الايجاز المخل يتناقض مع الهدف الأساسى لها وهو تقديم المعارف النفسية فى صورة مبسطة متكاملة.

ولما كان موضوع كتابنا هذا هو «الشخصية» فقد حاولنا فيه أن نقدم الصورة المبسطة لأبحاث علماء النفس فى هذا

الموضـوع، وكـأى بحث علمى بـدأنا بتـعـريف الموضـوع، تعـريف الشـخـصيـة، ثم انتقلنا إلى دراسـة تكوين الشـخـصيـة، ومضى الكتاب بعد ذلك وفقـاً للتسلسل الموضـوعى، مـتتبعـا تطور علم النفس فى دراسـتـه لموضـوع الشـخـصيـة عـبـر أبرز المدارس والنظريات النفسية.

وأخيـراً إذا أمكن لهذا الكتـاب المتواضع أن يضع أمـامك الصـورة العـامـة لموضـوع الشـخـصيـة فى علم النفس وأن يكون بمثابة المدخل التمهيدى الذى يستحثك على المزيد من الدراسة لهـذا الموضـوع، وأن يقـدم العـديد من الاسـتـبـصـارات الذاتيـة بالشخصية ومراحل نموها وتكوينها، فإنه يكون قد حقق هدفه الذى نرجوه.. وحسب ذلك من مثل هذه الكتاب الصغير.

عاطف عمارة

الفصل الأول:

■ ما هى الشخصية؟

- تعريف الشخصية
- تكوين الشخصية
- نمو الشخصية
- بناء الشخصية

« كل إنسان يهتم بالشخصية، وكل إنسان يطمع فيها إن سراً أو علانية.. ومع ذلك فليس هناك من يستطيع أن يقول لنا: ما هى؟».

(و.ج. أنيفر)

«أنك لا تقابل أحداً.. إلا نفسك.. فى طرقات القدر البعيدة»..

(مترلينك)

* تعريف الشخصية

يبدو للوهلة الأولى أن لفظ «الشخصية» من الألفاظ الشائعة، الدارجة التى لا تحتاج إلى تعريف، لأن كثرة شيوع اللفظ قد جعلت معناه واضحاً محدداً، أو معروفاً لدى العامة. فهو من الناحية العملية يتضمن معنى بديهيا واضحاً لا يحتاج إلى التعريف لشدة وضوحه وكثرة تداولة.

ولكن الأمر فى الواقع يختلف كثيراً، إذا انتقلنا إلى دائرة العلم عندئذ سوف تواجهنا عشرات التعريفات المختلفة للفظ «الشخصية»، لقد تمكن «جوردون ألبورت» وحدة من حصر ما يقرب من خمسين تعريفا أو معنى مختلفا للشخصية فى كتابه «الشخصية». وبالطبع فإن بعض هذه المعانى لاهوتى، وبعضها فلسفى، وبعضها اجتماعى، وبعضها سيكولوجى.

ويذهب «ألبورت» إلى أن كلمة «شخصية» Personality بالإنجليزية، أو Personalite بالفرنسية، تشبه إلى حد بعيد «Personalitas» فى اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى، أما فى اللاتينية القديمة، فقد كان لفظ «برسونا» Persona وحدة هو المستخدم، ويتفق الجميع أنه كان يعنى : «القناع»، ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم، إذ اعتاد الممثلون فى العصور القديمة إرتداء الأقنعة ليعطوا الدلالة على الدور الذى يمثلونه من جهة، ولإخفاء شخصياتهم الأصلية من جهة أخرى، فالشخصية ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات، أو من ناحية كونها غطاء يختفى وراءه الشخص الحقيقى، ويتفق هذا القول مع التعريفات التى تنظر إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجى الذى تحدثه فى الآخرين ، وحيث ينصب الاهتمام على المظهر الخارجى أكثر مما ينصب على التنظيم الداخلى، ومع مرور الزمن أطلق لفظ برسونا على الممثل نفسه أحياناً، وعلى الأشخاص عامة أحيانا أخرى، ولعل أقوى المؤثرات فى استمرار وبقاء فكرة القناع هذه عبر الأجيال القديمة، فلسفة أفلاطون، المثالية، والتى مازالت قائمة حتى الآن، إذ لا يزال البعض يعتقد أن الشخصية هى: «مجرد الواجهة التى يفترض أن يكمن وراءها جوهر ما».

وقد ورد لفظ «الشخصية» فى كتابات «تيشرون»، وعلى

نحو ما أوضح البورت، بأربعة معان مختلفة تستمد جذورها من فكرة المسرح، والجدير بالذكر أن هذه المعانى تشتمل على جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة، فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها:

(١) الفرد كما يظهر للآخرين وليس ما هو عليه فى الحقيقة، وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع.

(٢) مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة، وهى بهذا المعنى تتصل بالممثل.

(٣) الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة سواء أكان دورا مهنياً أم اجتماعياً أم سياسياً.

(٤) الصفات التى تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية، وهى بهذا المعنى تشير إلى المركز الكبير الذى يحتله الفرد [١].

وإلى جانب الكثير من التعريفات العملية الدارجة للشخصية والتى نستعملها فى الحياة اليومية، هناك تعريفات أخرى علمية، قدمها بعض علماء النفس، وهذه التعريفات تكشف لنا عن الاتجاهات التى سار فيها تفكير هؤلاء العلماء فى نظرتهم للشخصية، ولقد أورد «ستاجنر» بعض هذه

«١» سيكولوجية الشخصية: د. سيد محمد غنيم، دار النهضة العربية ١٩٨٧.

التعريفات، ومنها تعريف: «مورتين برنس» للشخصية بأنها: «مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، وكذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة». ومثل هذه التعريف يعطى أهمية للنواحى الداخلية للشخصية، أما تعريف «كمف» Kemph للشخصية فهو أسلوب التوافق العادى الذى يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة»، ومثل هذا التعريف يعطى إهتماما لأسلوب توافق الفرد مع البيئة.

أما «فلويد ألبورت» فقد أشار فى كتابه : «علم النفس الاجتماعى» إلى أن الشخصية هى: «استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية، وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية فى البيئة». ولقد لفت «واطسن» النظر إلى الخلق باعتباره جزءاً من الشخصية، فالشخصية تتضمن - فى نظره - ليس فقط هذه الاستجابات (ويعنى بها الخلق والعرف)، بل وأيضاً التوافقات الشخصية للفرد وقدراته وكذلك تاريخ حياته.

والتعريفات السابقة تتمايز فى مجموعتين: إحداهما تنظر إلى الشخصية «كمثير» أى من حيث قدرة الفرد على التأثير فى الآخرين، والأخرى تنظر إلى الشخصية «كاستجابة» أى من حيث السلوك الذى يستجيب به الفرد وما يقوم به من

أفعال فى المواقف البيئية المختلفة، وقد ناقش «ستاجنر» هذين النوعين من التعريفات، فقد لا يصلحا معا لوضع أساس لتعريف علمى سليم للشخصية، الأمر الذى يمهد السبيل لوضع تعريف أكثر دقة، فمن الممكن القول بأن معارضة الاتجاهين السابقين فى تعريف الشخصية كمثير أو استجابة، ترجع إلى أن كلا منهما يؤكد الجوانب السطحية الظاهرية للشخصية.

فهى تعريفات أقرب إلى تعريفات القناع أو الواجهة التى تحدث أثرها فى الآخرين، أما جوهر الشخصية أو تنظيمها الداخلى الذى يكمن وراء هذه الواجهة، فهو ما تغفله هذه التعريفات. ولهذا فقد اتجهت الدراسة نحو التركيب أو التنظيم الداخلى للشخصية والذى يمكن الاستدلال عليه من السلوك الظاهرى للفرد.

ويفضل علماء النفس النظر إلى الشخصية وتعريفها كوحدة موضوعية، أو كشىء له وجود حقيقى، فهم يسلمون أن الإنسان متصل بالعالم المحيط به، يتأثر به ويؤثر فيه فى كل مرحلة من مراحل حياته، وعلى ذلك فالشخصية لها تاريخها الماضى والحاضر، وهى على حد قول «وليم شتيرن»: «وحدة دينامية متعددة الأشكال».

وهذا النوع من التعريفات ينظر إلى الشخصية باعتبارها

تنظيماً داخلياً يمكننا من تفسير مظاهر السلوك المختلفة للفرد، فهى نوع من الوحدة الداخلية التى تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد، ومن قبيل هذا النوع من التعريفات تعريف «وارن» بأن الشخصية هى: «التنظيم العقلى الكامل للكائن الحى فى أية مرحلة من مراحل نموه وهى تتضمن كل مظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية: عقله، ومزاجه، ومهارته، وخلقه، وكل اتجاه كونه خلال حياته» وكذلك تعريف «إيزنك» للشخصية بأنها: «التنظيم الأكثر والأقل ثباتاً واستمراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذى يحدد توافقه المميز للبيئة التى يعيش فيها». وهى يعنى بالخلق: التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمراراً للسلوك النزوعى والإرادة، بينما يعنى بالمزاج التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لسلوكه الوجدانى (الإنفعال)، ويعنى بالعقل: التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً للسلوك المعروف (الذكاء)، على حين يعنى بالجسم التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً للتكوين البدنى والغددى والعصبى للفرد.

غير أن بعض علماء النفس المحدثين يعارضون مثل هذه النظرة إلى الشخصية كتركيب أو تكوين داخلى، وذلك على أساس أن مثل هذا التكوين الداخلى لا يمكن إخضاعه للدراسة العلمية، فنحن لا يمكننا أن نعرف «الوحدة الدينامية المتعددة

الأشكال» والتى نقول عنها أنها توجد فى الحقيقة، فالتركيب الداخلى حتى إذا كان له وجود حقيقة ، لا يمكن دراسته مباشرة، وقد أدت هذه النظرة إلى البحث عن تعريفات إجرائية للشخصية، فقد ذهبت البعض إلى أن ما نعرفه عن الشخصية هو فحسب «إجراءاتنا». فتعريف الشخصية حسب هذه النظرة لا يكون مفيداً من الناحية العلمية ما لم يوضع فى عبارات إجرائية، أى فى عبارات تسمح بملاحظته الظاهرة وإعادة خلقها لكى تتسنى دراستها دراسة تجريبية مبنيةعلى الملاحظة والقياس، ويسمى هذا النوع من التعريفات بـ «التعريف الإجرائى» نظرا لأنه يقتصر على العمليات أو الإجراءات التى يقوم بها العالم أو الباحث للحصول على الظاهرة التى يدرسها، وحسب هذا النوع من التعريفات الإجرائية تعتبر جميع التعريفات التى تحدد الشخصية من حيث هى تركيب داخلى خرافة، أو هى مجرد تكوين ارتبط باسم من الأسماء، وقد قدم «ماك كليلاند» فى كتابه «الشخصية» مثل هذا التعريف الإجرائى، فالشخصية هى ذلك: «المفهوم الأكثر تناسباً لسوك فرد ما فى جميع تفاصيله التى يمكن للعالم تقديمها فى لحظة ما».

ومع أهمية هذا التعريف الإجرائى، نلاحظ أنه يقترب كثيراً من التعريفات «بالأثر الخارجى» الذى يحدثه الفرد فى

الآخرين فالشخصية ليست سوى ما يقوم الآخرون بملاحظته وتسجيله من إجراءات يقوم بها الفرد وتأثير ذلك فى إدراكات الآخرين الذين هم فى هذه الحالة: العلماء.

أن الشخصية ليست ظاهرة يمكن ملاحظتها مباشرة، وإنما هى تكوين إفتراضى نفترض وجوده وفى ضوئه يمكن أن نفسر مظاهر السلوك المختلفة، فعلى الرغم من أننا نقول أحياناً إننا نلاحظ شخصية فرد ما، إلا أننا فى الحقيقة نلاحظ سلوكه ونستخدم هذه الملاحظات لعمل استدلالات عن شخصيته، فالشخصية على هذا الأساس مكون افتراضى أو هى تجريد علمى.

وثمة موقف قريب من هذا الموقف الإجرائى، وهو موقف هؤلاء الذين يذهبون إلى عدم الإلتجاء إلى مفهوم الشخصية إطلاقا، فبعض أصحاب نظرية المثير والاستجابة مثلا يذهبون إلى أن ليس ثمة حاجة لأن نشغل أنفسنا بمتغيرات متداخلة أو وسيطة «كالشخصية» إذا أمكننا أن نعرف المثير والاستجابة، وهذه نظرية السلوكيين المتطرفين الذين لا يسمحون إلا بدراسة السلوك الخارجى الذى يمكن ملاحظته واخضاعه للدراسة، أما الشخصية كشىء داخلى أو كمكون افتراضى فلا يفيدنا فى الشىء وبالتالى لا وجود له!

وعلى الرغم من أن هذا يعد هدفا لبعض علماء النفس إلا أن التكوينات الافتراضية أو التجريدات تعتبر مع ذلك حقائق موجودة فى العلم، إن العلم يعالج فقط ما هو «حقيقة» وفى ضوء ما سبق يمكن أن نحدد الصفات المختلفة التى يجب أن يشتمل عليها المفهوم البسيط للشخصية، وهذه أهمها:

١ - الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد حتى ولو كانت هناك سمات مشتركة بينه وبين غيره من الأفراد.

٢ - الشخصية تنظيم وتكامل حتى ولو لم يتحقق هذا التكامل دائما، فهو هدف يسعى الفرد دائماً إلى تحقيقه.

٣ - الشخصية تتضمن فكرة الزمن، فالشخصية لها تاريخ ماضى وحاضر راهن.

٤ - الشخصية ليست مثيراً ولا استجابة وإنما هى مكون افتراضى.

وفى ضوء هذه الصفات يمكن تعريف الشخصية بأنها: «ذلك التنظيم أو تلك الصورة المميزة التى تأخذها جميع أجهزة الفرد المسئولة عن سلوكه خلال حياته» وربما كان تعريف «ألبورت» مناسباً لهذا الغرض، فإنه بعد أن استعرض شتى التعريفات، وصل إلى تعريف فى ضوء المتغيرات الوسيطة أو التكوينات الافتراضية، وقد عرف الشخصية بأنها: «هى ذلك

التنظيم الدينامى الذى يكمن داخل الفــرد والذى ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التى تملى على الفرد طابعه الخاص فى السلوك والتفكير(١).

الشخصية هى إذن : مجموع الصفات الجسمية والعقلية والخلقية والنفسية والوجدانية التى يتصف بها الانسان وتميز عن سواه من الناس، وهى تظهر لنا بمقدار ما عند الشخص من الاستقلال الفكرى وحضور البديهة وسرعة الخاطر وقوة الإرداة واستقامة التفكير واعتدال الجسم وسلامة السلوك، فهى جماع مالدى المرء من صفات جسمية وعقلية وخلقية ونفسية ومزاجية موروثة وغير موروثة، فهى عدد كبير من الصفات والعادات والأفكار والدوافع والعواطف والنزعات والقدرات، فالشخصية - فى هذا الرأى - تشمل الشكل الظاهرى للإنسان وصحته وعافيته وما لديه من استعدادات ووظائف ومواهب فكرية ومواهب فطرية ومكتسبة ودرجتها من التقدم والتطور ومقدار ما يفيد المرء فيها ودرجة تكيفه مع البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية، كما تشمل المثل العليا التى يهدف إليها الفرد والعادات والمهارات والخبرات التى اكتسبها والمبادىء التى اعتنقها وما لديه من تجارب وما عنده من أفكار وآراء ومبادىء ، ويمكننا تلخيص ما ذكرناه آنفا، فنقول إن

«١» المرجع السابق.

العناصر الأولية التى تتكون منها الشخصية هى:

١ – الاستعدادات الفطرية المختلفة: من نزعات فطرية خاصة (الغرائز) وما يتكون منها من عواطف وعادات وما يتسبب عن عدم التنفيس عنها من عقد، أى دوافع لا شعورية.

٢ – النزعات الفطرية العامة: (المشاركة الوجدانية الاستهواء والتقليد).

٣ – الحاجات النفسية الموروثة: من حاجة إلى النجاح وحاجة إلى الحرية وحاجة إلى الطمأنينة وأخرى إلى المحبة وخامسة إلى التقدير وسادسة لسلطة ضابطة وموجهة وما ينشأ عن عدم تحقيق ذلك من انحراف فى السلوك.

٤ – الصفات الجسمية المختلفة: الناتجة عن قيام الغدد بوظائفها الكاملة مما يسبب نمو الجسم نمواً كاملاً متزناً.

٥ – القدرات العقلية المختلفة: من ذكاء، وعوامل وظائفية ، وعوامل نوعية.

٦ – الصفات المزاجية للفرد: والتى تؤثر تأثيراً كبيراً فى بناء الشخصية.

ومن الواضح أن الشخصيات تختلف بين الناس باختلاف هذه العوامل والمقومات، وباختلاف كل منها فى درجة النمو،

كما تختلف على قدر ما بين هذه المقومات من تضامن وتآزر وتآلف وانسجام (1)، غير أن هذه النقطة على وجه الخصوص تحتاج إلى تفصيل أكثر نظرا لأهميتها الخاصة، لذا سنفرد لها الصفحات التالية.

تكوين الشخصية

ما هى المحددات العامة التى إذا درسناها أمكننا أن نضع أيدينا على «تكوين الشخصية»؟

لقد أجاب كل من «كلوكهون» و«مورى» وشيدر» على هذا السؤال فى كتابهم : «الشخصية فى الطبيعة المجتمع والثقافة»، وقد ذهبوا إلى أن كل إنسان هو فى بعض نواحيه: يشبه كل الناس، ويشبه بعض الناس، ولا يشبه أى إنسان فى الوقت نفسه.

يدل ذلك على أن بعض محددات الشخصية يكون عاما بين الناس جميعاً، وبعض هذه المحددات يشترك فيه البعض دون العامة، والبعض الآخر منها يتفرد به الانسان وتمتاز به الشخصية فيدل على تفردها وتميزها وخصوصيتها.

أما ما نشترك فيه جميعا فهو : التكوين العضوى والبيولوجى، والبيئة الطبيعية التى نعيش فيها، والثقافة التى

«١» أسس التربية وعلم النفس: أحمد يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨.

ننتمى إليها، والخبرات المشتركة مثل: خبرة الميلاد، ضغط الحاجات الأولية التى يجب أن نتعلم خفضها، وخبرات النمو، والتكيف ككائن اجتماعى، وما نتعرض له من نواحى الاشباع والحرمان.

أما ما يشبه بعض الناس دون عمومهم فهو: ما نلاحظه فى تشابه بعض السمات الشخصية مع أعضاء الجماعات أو مع أعضاء معينين من جماعات معينة، فالبحارة مثلا، بصرف النظر عن المجتمعات التى ينتمون إليها، يميلون إلى أن تكون بينهم صفات مشتركة، والقول نفسه يصدق على بدو الصحراء، كما أن رجال الفكر والرياضة بينهم فى الأغلب صفات المشتركة.

والحديث عن الأنماط إنما يعنى ضمنا الحديث عن أن هذا الفرد يشبه مجموعة معينة من الناس تتصف بصفات خاصة، وذلك على نحو ما نتحدث عن شخص معين بأنه من النمط البدين أو الهزيل أو الرياضى، أو أنه من النمط المنبسط والمنطوى، إنما نشير فى هذه الحالة إلى تشابه مع بعض الناس فى صفات جسمية أو نفسية معينة.

أما أنه لا يشبه أى إنسان فهذا ما يتضح من أن لكل فرد طريقته وأسلوبه الخاص فى الإدراك والشعور والسلوك والذى يطبعه بطابع مميز لا يتكرر لدى أى فرد آخر بالصورة نفسها.

وقـد ذهب كلوكـهـون ومـورى وشيـدر إلى أن تكوين الشخصية يمكن النظر إليه فى ضوء محددات أربعة وما بينها من تفاعلات، وهذه المحددات الأربعة هى:

(أ) المحددات التكوينية (البيولوجية).

(ب) محددات عضوية الجماعة.

(جـ) محددات الدور الذى يقوم به الفرد.

(د) محددات الموقف.

وهذا المحددات - فى نظرهم - تساعد على معرفة: من أى النواحى يشبه الفرد كل الناس أو بعض الناس أو لا يشبه أى إنسان على الاطلاق، كما أنها تساعد أيضاً على معرفة وتوضيح المحددات المختلفة للشخصية[1]. فإذا أخذنا أى فرد فإننا يكننا أن نشبه ما لديه من الاستعدادات الفطرية والمزاجية والعقلية والجسمية والموروثة منها والمكتسبة عن طريق التعامل مع البيئة المادية والاجتماعية بعدد كبير من الناس الذين لا يمكن أن نطلق عليهم اسم جماعة إلا إذا كان بينهم رباط قوى يجمعهم ويوحد بينهم، فالأشخاص الذين يجلسون فى ملهى لا يمكن أن نسميهم جماعة لأنه ليست هناك علاقة تربطهم ببعضهم ببعض ، ذلك لأن كلا منهم ذهب

«١» سيكولوجية الشخصية: سابق.

إلى الملهى وله غرض خاص به، ولذلك لا يمكن أن تكون لهم وحدة أو تتكون منهم جماعة.

وهذا الحال يشبه تماماً عناصر الشخصية، فإن تفرقت هذه العناصر وتناثرت ولم تتفق من أجل غرض معين أو دافع معين، كانت شخصية الإنسان منحلة، أما إذا تحدت هذه العناصر وتآلفت وتآزرت وانسجمت تحت لواء واحد وقائد واحد هو عاطفة اعتبار الذات وفكرة الفرد عن نفسه فإن شخصية الانسان تصبح مترابطة فى عناصرها متحدة فى تكوينها، وهذا ما يسميه العلماء بتكامل الشخصية، وتصبح هذه الشخصية لا تصدر إلا عن وحى هذه العاطفة ولا تأتى من الأعمال إلا ما يتفق مع فكرة الفرد عن نفسه، وتصبح هذه العاطفةهى القائد الأعلى فى جيش الحياة النفسية توجه عناصرها ومقوماتها وجهة تتفق مع هذه العاطفة، فإن كانت هذه العاطفة قوية كبحت جماح جميع مقومات الشخصية وعناصرها وأبعدتها عن الخطأ والذلل والشطط،

أما إن كان عاطفة اعتبار المرء لذاته وفكرته عن نفسه ضعيفة هزيلة فإنها لا تستطيع إخضاع هذه العناصر أو كبح جماح هذه المقومات ويتجه كل من هذه العناصر والمقومات والجهة التى يريدها، وبهذا تتفرق مقومات الشخصية، فتسمى فى هذه الحالة شخصية منحلة، ومن أمارات الشخصية

المتكاملة أن يكون الشخص غير عالة على الناس فى كسب رزقه، وأن يصل إلى آرائه وأحكامه بنفسه، وأن يعمل على حل مشاكله معتمدا على ذاته وألا يكون تحت رحمة ما يدور حوله من ضروب الإغراء العابرة والنزوات العارضة فى دنيا الناس وألا تستبد به الشهوة، أية شهوة، ولا النزعة، أية نزعة، وألا يبيع شخصيته لكل ذى رأى، وأن يكون ثابت السلوك، رزين الانفعال، قادراً على الصمود أمام الصعوبات ومواجهة الصدمات، وهنا يحلو لنا أن نتساءل كم من الناس متكاملى الشخصية [1] غير أننا لن نستطرد فى الحديث عن الشخصية المتكاملة هنا لأننا خصصنا لها أحد كتب هذه السلسلة، وما يهمنا - هنا - هو أن نتناول «محددات الشخصية» بالتفصيل.

١ - المحددات التكوينية:

يذهب بعض علماء النفس إلى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة اجتماعية فى أساسها، وأن الأساس البيولوجى للسلوك هو الطابع المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى، وعلى الرغم من ذلك يجب أن نؤكد على الأهمية العظمى للتأثيرات الاجتماعية وأثرها فى الكائن الحى البيولوجى، فأهمية المؤثرات الاجتماعية لا تقل عن الاختلافات التى تحدث فى التكوين البيولوجى والجسمى للفرد. لأنها تؤدى إلى اختلافات

«١» أسس التربية وعلم النفس: السابق.

فى الاستجابات المختلفة للظروف الاجتماعية.

لقد ذهب «وليم روجر» إلى أن إدخال المجال البيولوجى فى دراسة الشخصية من شأنه أن يوسع أفقنا ونظرتنا لهذا المجال الجديد ويستمد الاتجاه البيولوجى الكثير من أفكاره من علم البيولوجى وعلم الفسيولوجيا وما يتصل بهما، فى نظرتهما للشخصية وكيف تتكون؟ وكيف تنمو؟ وكيف تتعدل؟

ويقول إيزنك» فى كتابه: «الحقيقة والوهم فى علم النفس»: إن من الأهمية بمكان أن نربط بين علم النفس وبين وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وعلم الأعصاب والبيولوجيا ربطا وثيقاً، وإذا كان ت. هـ. هكسلى قد قال: «إنه لاذهان بدون عصاب» فقد قصد بذلك أنه لا توجد أحداث عقلية بدون الأحداث الفسيولوجية أو العصبية الكافية وراءها، والتى يمكن أن تفحص وتقاس بالعلم الفيزيقى، ولكن لا يزال بعيدا هذا اليوم الذى نتمكن فيه من أن نحقق هذا بطريقة لا لبس فيها، وخصوصا فيما يتعلق بمفاهيم الشخصية».

والحقيقة هى أن الكائن الحى وحدة كاملة متكاملة لا يمكن الفصل فيها بين مكوناته البيولوجية والتأثيرات البيئية التى يخضع لها سواء قبل الولادة أو بعدها، وإذا كان للثقافة تأثير عميق فى حياة الفرد، فإن للمحددات البيولوجية تأثيرا

مماثلا كذلك، لكن المشكلة هى فى الدور النسبى لهذه العوامل البيولوجية والبيئية فى خلق الشخصيات المتمايزة.

أما أنصار الاتجاه البيولوجى فيؤكدون أثر العوامل البيولوجية ويميلون إلى تغليبها على العوامل البيئية، وأما أنصار الاتجاه الاجتماعى فهم أكثر توكيدا وميلا لتغليب عوامل البيئة وعلى العوامل البيولوجية، ويركز أنصار الاتجاه البيولوجى فى دراسة الشخصية على مجالات متعددة أهمها:

١ - دراسة الوراثة: فالافراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم.

٢ - دراسة الأجهزة العضوية: والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية.

٣ - دراسة التكوين البيوكيميائى والغددى للفرد.

وبالنسبة للوراثة: فقد بدأ العلم يكتشف قوانينها ومدى تأثير هذه القوانين فى النواحى الجسمية والعقلية والمزاجية للشخصية وذلك منذ أيام «داروين» و«جريجور مندل»، وبذلك بدأ الاهتمام بدراسة دور العوامل فى تحديد السلوك، لكن من الثابت مع ذلك أنه لا يمكننا أن نعزى إلى الوراثة وحدها أسباب السلوك، إذ يجب أن تتفاعل العوامل البيئية مع العوامل الوراثية ليساهم هذا التفاعل فى تحديد السلوك.

إن أية سمة هى نتيجة التفاعل بين المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية، إلا أن الدور الذى تقوم به هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى، فنحن نكون أميل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو لون البشرة، بينما نكون أميل إلى الرجوع إلى البيئة لفهم أساليب اللغة التى يستخدمها الطفل أو سلوكه الجانح أحيانا، ومن المعروف أن الخصائص التى يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التى يتم فيها اتحاد البويضة الأنثوية بالحيوان المنوى الذكرى، وهذه الخصائص تتوقف على الجينات التى هى جملة الاستعداد الوراثى عند الفرد.

وهناك الكثير من الدراسات التى أجريت عن الوراثة وعلاقتها بالسمات، خاصة السمات البارزة مثل الذكاء والمهارات الخاصة ووراثة الانحراف الاجتماعى لدى بعض الأسر، والضعف العقلى لدى أسر أخرى، وقد أكدت هذه الدراسات مدى أهمية دور الوراثة فى خلق الشخصية، حتى أن «ويجام» يقول: «إن الوراثة - وليست البيئة - هى الصانع الرئيسى للإنسان.. ومن الممكن القول إن كل ما يطرأ على العالم من تعاسة وهناء لا يرد إلى البيئة، فالفروق التى توجد بين الناس، إنما ترجع إلى الإختلافات فى الخلايا الجرثومية الموروثة التى نولد مزودين بها».

فالشخصية على هذا الأساس معطاة بشكل محدد منذ الولادة، فهى تفسر فى الأغلب كنتيجة لعملية نضج بيولوجى إلى حد بعيد، وقد وصل «كاتل» و«بليوت» و«بيلوف» فى دراسة لهم إلى النتائج التالية:

١ - أن الوراثة أكبر وزنا من البيئة فى تحديد سمات مثل «السيكلوثيميا» - «سهل المعاشرة، عطوف، معبر عن نفسه) ضده الثيزوثيميا (عدوانى، ناقد).

٢ - أن الوراثة أكبر من البيئة وزناً فى تحديدهما لما اسماه باسم السيكلوثيمى المغامر (الميال إلى مقابلة الناس ومواجهتهم المندفع، اللطيف) ضد الشيزوثيمى المنعزل (الخجول، الجبان، العدوانى، المكبوت).

٣ - أن الوراثة أكبر وزنا فى تحديد الذكاء، وهذه النتيجة الأخيرة لا تثير الدهشة وربما كانت تثير الشك فى المنهج إن كانت غير ذلك.

٤ - أن البيئة كانت أكثر تأثيرا وفاعلية فى سمات مثل الرقة والعصابية العامة وقوة الإرادة والتحكم فيها والجدية والتزمت، أما فى التوازن النسبى فى وزن الوراثة والبيئة فقد أتضح فى سمات مثل السيطرة والخلق الاجتماعى والتطابق النشط.

وهناك الكثير من الدراسات الأخرى المشابهة التى توصلت إلى نتائج مماثلة تؤكد أهمية العامل الوراثى فى تكوين الشخصية منها دراسة «نيومان وفريمان وهولزنجر» ودراسة «شيلدز» على التوائم، أما الدراسات التى أجريت على الحيوانات فمنها دراسة «هول» وتجارب «فردريكسون» وغيرهما.

والخلاصة هى: أن لكل منا نمطا وراثيا فريداً، أعنى أساساً وراثيا لهذه الشخصية الفريدة والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثية هى أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة أو صفات الجماعة أو الصفات المميزة للفرد، فنحن جميعاً بشر بحكم وراثتنا، ونحن بيض أو سود، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا، كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملامحنا الأخرى المميزة أيضاً بحكم محدداتنا الوراثية، غير أن هذا القول لا ينفى لدور المهم الذى تقوم به البيئة»[1].

٢ - الأجهزة العضوية وعلاقتها بالشخصية:

كما أن هناك الكثير من الدراسات التى أكدت أهمية عوامل الوراثة فى تكوين الشخصية، هناك أيضاً الكثير من الدراسات التى أكدت أهمية الأجهزة العضوية وعلاقتها

«١» سيكولوجية الشخصية: سابق

بأنماط الشخصية، فهناك علاقة وثيقة الصلة بين الجهاز العصبى المستقل وبين الانفعال، وقد أخذ علماء النفس منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابة التلقائية وبين السمات المزاجية. ومن هؤلاء العلماء مثلا : «كمف» و«دارو» و«فريمان».

إن استجابة الجسم للاحباط ثم عودته للتوازن الداخلى من الأمور المهمة بالنسبة للشخصية. لذلك فقد فرض فريمان على مفحوصيه احباطات تجريبية معينة، ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلى خلال نشاط الجهاز العصبى المستقل، وقد كشفت الدراسة عن وجود عمليتين مترابطتين هما : عملية إثارة الحافز أو الدافع، والأخرى هى التحكم فى تفريغ الطاقة؛ فالأشخاص الذين تكون لديهم إثارة الحافز قوية يمكنهم بسرعة تعبئة طاقتهم، استجابة لوجود المثير المخيف أو المهدد (أو هدف إيجابى وإن لم يدرس فريمان هذه الناحية)، أما هؤلاء الذين يكون تحكمهم فى تفريغ الطاقة عاليا ، فإنهم يحولون دون التعبير عن إثارة هذه الطاقة فى فعل صريح، إلا إذ كان احتمال النجاح فى العمل مؤكداً.

وقد توصل فريمان من ذلك إلى وضع يصنف الناس من الناحية المزاجية وفق موضعهم من متغيرات ثلاثة هى: إثارة

الدافع والتحكم فى تفريغ الطاقة، والقدرة على التميز (وهذه الأخيرة تعتبر ضرورية نظراً لأن الفرد يستخدم معلومات من البيئة، كما أن الإثارة تتوقف على إدراك المثيرات الدالة، أما التحكم فيتضمن تقييم نتائج العمل)، فمن المحتمل أن نجد أشخاصا تكون استثارة الحافز عندهم قوية سريعة، بينما تحكمهم فى تفريغ الطاقة ضعيف، وهؤلاء من السهل عليهم ارتكاب الجرائم، كما أن قدرتهم على التوافق مع البيئة وضبط النفس تكون ضعيفة (على نحو ما هو الحال فى البيكوباتيين). وبالمثل يمكن أن نجد أشخاصا تكون استثارة الحافز عندهم ضعيفة وقدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة قوية، وهؤلاء يبدون كما لو كانوا لا يريدون عمل أى شىء ما، أى كما لو كانوا متبلدين، وهم يخافون من محاولة القيام بأى عمل، فهم أقرب إلى الشخصيات المرضية.

أما النوع الثالث الذين تكون استثارة الحافز عندهم قوية وقدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة قوية كذلك، فهؤلاء أكثر نجاحاً، لأن الفرد منهم يبذل جهداً وطاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباء، وهو يعتمد بالطبع على قدرته على التميز أو الذكاء.

وثمة رأى آخر يذهب إلى أنه على الرغم من أننا جميعاً

نتشابه فى ميكانزمات الجهاز العصبى المستقل وفى الوظائف العامة للاستجابة، إلا أن لكل فرد منا ميلا إلى أن ينمى لنفسه نمطا ثابتاً من الاستجابة للمثير الذى يؤدى إلى إثارة الجهاز العصبى المستقل، فهذا الشخص (مثلا) يستجيب لمواقف التهديد بحدوث تغيرات وسرعة ضغط الدم، وذلك الآخر بسرعة دقات القلب، والثالث بتغيرات فى استجابة الجلد للجلفانومتر، وهكذا ، وقد ذهب إلى هذا الرأى كل من «جون ليسى» وفان ليبه».

وإذا كان من السهل أن ندرس الجهاز العصبى المستقل بسبب إرتباطه المباشر بالظواهر الانفعالية وظواهر إثارة الحافز، إلا أن من المهم ألا ننسى أن نشاط هذا الجهاز نفسه

والذى يعمل تلقائيا بدون تدخل منا وفى بعض الأحيان بغير علمنا يخضع نتيجة اتصاله بالجهاز العصبى المركزى لتكييف وتنظيم سيطرة المخ.

ولقد أشار «بافلوف» إلى نظرية الإثارة والكف اللحائى، وقد أجرى تجاريه على الكلاب، ومن ثمة فهى قليلة القيمة بالنسبة للإنسان، وإن كانت قد وجهت الانتباه إلى الدراسات على الانسان، فقد قدم «إيزنك» نظرية الإنطواء - الانبساط التى تقوم على إفتراض إختلاف الناس فيما بينهم فى عملية الكف اللحائى.

والفكرة الرئيسية عند «إيزنك» هى فكرة «كف الاستجابة» فمعظم الناس حين يطلب إليهم مواصلة الاستمرار فى عمل بسيط والقيام به عدة مرات متتالية سرعان ما يظهر لديهم نوع من المقاومة، ويختلف الناس فيما بينهم فى سرعة تكوين هذه المقاومة وقوتها، وعلى هذا الأساس صاغ «إيزنك» نظريته لتفسير اتجاهات معينة فى الشخصية، ونظريته فى الواقع جديرة بالاهتمام وإن لم تقدم شيئاً عن الأساس الفسيولوجى الذى تقوم عليه.

وفى السنوات الأخيرة أدت الدراسات التى استخدم فيها رسام المخ الكهربى إلى نتائج ذات أهمية كبيرة، فقد وجد ارتباط موجب بين الذبذبة «الفا» وتقديرات المزاج (+ ٠,٤٦) فالأشخاص الذين تكون الذبذبة الفا عندهم عالية يعطون تقديرات عالية فى النواحى المزاجية، إذ يكونون أميل إلى الاندفاع وأحوج إلى الضبط والتحكم، بينما الأشخاص الذين تنخفض عندهم الذبذبة الفا يكونون أميل إلى الحذر والتروى والكف.

كما كشفت دراسات «شبتون» و«والتر» و«وير» عن أن الأشخاص الذين يعطون أنواعا مختلفة من الاستجابات فى رسم المخ يكشفون عن أنواع مختلفة من السلوك الصريح، كما أثبتت الدراسات الحديثة أيضاً أن الشخصية تتأثر بإصابات

المخ، بشكل مباشر وأولى ، أو بشكل غير مباشر وثانوى عن طريق استجابات نفسية معقدة.

٣ - التكوين البيوكيميائى والغددى وعلاقته بالشخصية:

تكشف دراسة الأشخاص الذين يعانون من اختلال فى إفرازات الغدد عن أدلة قاطعة على وجود تأثيرات واضحة للهرمونات فى الشخصية، وبالطبع هناك من يعارض هذا الاتجاه وهناك ما يؤيده، والذين يؤيدونه إنما يؤكدون على الأثر المهم للهرمونات فى الشخصية نتيجة للدراسات العديدة التى أجريت على الغدد ومنها: الغدة الدرقية فى مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة، والغدة الادرنيالية فوق الكلوية، والغدد الجنسية.

فالغدة الدرقية (مثلا) وظيفتها تخزين اليود وإفراز هرمون «الثيروكسين» الذى يؤثر فى عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء، كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد الصماء وخاصة الغدة النخامية، والاضطرابات التى تصيب هذا الغدة تكون أما بنقص أو زيادة إفرازها، والأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز الدرقية يكونون أميل إلى الخمول والبلادة والغباء وكأنهم فى سبات عميق، كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم الكثير الشك، وهى صورة أقرب إلى المزاج الفصامى عند «كرتشمر».

أمـا الأشـخـاص الذين يعـانـون من زيادة إفـراز الـدرقـيـة فيـلاحظ عليهـم الميل إلى زيادة التوتر العصبى وشـدة الاستثارة والقلق، كـمـا تزداد لديهم شـدة اسـتـجـابة الجـهـاز العـصـبى المستقل، فيكون المريض كثير الحركة زائدة النشاط لا يقر له قرار ويكاد يكون فى حالة توتر مستمر.

وهنـاك أيضـاً الغـدة الأدريناليـة (فـوقـة الكلوية) أو الكظرية، وتتكون كل غدة من عضوين متميـزين خارجى ويسمى القـشـرة وداخلى ويسمى اللب، وهرمـون القـشـرة يسـاعـد على مواصلة بذل الجـهـد العضلى وعلى مقـاومـة العدوى، ويتـرتب على ضعف نشـاط هذا الهـرمـون ونقصه الإحسـاس بالضعف والكسل وعدم الاهتمام بالجنس الآخر وهبوط عام فى الحيوية والنشاط وفـسـاد الحكم وعدم الميل إلى التعاون وقلة الصبـر، بينمـا يتـرتب على زيادة نشـاط هذا الهـرمـون زيادة مظاهر الحيوية وزيادة مظاهر الرجولة سـواء عند المرأة أو الرجل، أمـا هرمـون اللب فـهـو الأدرينالين، وتسـبب زيادته إزدياد ضـربات القلب وإزدياد عـمـل الرئتين وإزدياد إفـراز السكر من الكبـد وإزدياد إفراز العرق وإتساع حدقة العين واندفـاع الدم إلى المخ والعضـلات بحيث ينشط العضـلات الخارجيـة ويحدث تأثيراً مضاداً على بعض الأعضاء الداخلية كالمعدة.

أما الغدة الجنسية وهى الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى، وتفرز هذه الغدد التناسلية هرمونات أهم وظائفها هى الخواص الجنسية الثانوية (خشونة الصوت عند المراهق ونبت الشعر فى مواقع مختلفة فى الجسم). وكذلك من الصفات السيلوكوجية: الميل الاستقلالى والميل للاعتداء وحب الزعامة والميل للمخاطرة والميل نحو الجنس الآخر.

أما عند الفتاة فتتضح هذا الخواص الجنسية الثانوية فى نبت الشعر فى مواضع معينة من الجسم أيضاً وكبر الثديين ونشاط الغدد اللبنية والميل إلى الجنس الآخر، وهذه الهرمونات بنوعيها موجودة فى كل من الرجل والمرأة، غير أنه تتغلب الهرمونات الذكرية عند الرجل والهرمونات الأنثوية عند المرأة، وزيادة أحدها ونقص الآخر يعزى إليه وجود الصفات الأنثوية عند الرجل، أو الصفات الذكرية عند الأنثى.

والخلاصة : أن الغدد لها تأثير واضح على سمات الشخصية، لكن ليس معنى ذلك أن هناك ارتباطا بين سمات معينة فى الشخصية وهرمونات معينة كذلك، فالهرمون الواحد نفسه قد يؤدى إلى اضطرابات مختلفة عند الأفراد المختلفين، فهرمون «الكورتيكون تروفين» قد يسبب هوساً أو اكتئاباً.

تلك هى المحددات التكوينية البيولوجية وأثرها فى الشخصية، ومنها: الوراثة، والأجهزة العضوية، والتكوين البيوكميائى والغددى للفردى، لكن الشخصية لا تخضع للعوامل البيولوجية وحدها - كما ذكرنا - بل هناك مجموعة أخرى من العوامل - ليست أقل تأثيرا - فى تكوين الشخصية، وهى ما اندمجت تحت المحددات البيئية المختلفة» (١).

محددات عضوية الجماعة:

قلنا - فيما سبق - إن التكوين البيولوجى للفرد يتدخل إلى حد بعيد فى تحديد شخصية الفرد، الأمر الذى يجعلنا على يقين بوجود الفروق الفردية المزاجية الملحوظة لدى الأفراد، وهذه الفروق ذاتها تؤثر - أيضاً - فى نمو الشخصية الفردية، لأن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة، فمن الخصائص الأساسية للإنسان، قدرته على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم، وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغرائزه، بحيث لا نحتاج إلى معرفة الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التى نشأ فيها من

«١» سيكولوجية الشخصية: مرجع سابق

أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته، وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا حتى فهم أبرز الخصائص فى شخصيته الفرد»[1].

يفهم من ذلك أنه من المتعذر علينا تفسير سلوك الفرد ونمو شخصيته دون أن ندخل فى الاعتبار البيئة التى نشأ فيها، ولسهولة دراسة هذه المؤثرات فى الشخصية، قسم «لويس ثورب» البيئة إلى أقسام ثلاثة، مترابطة بشكل وثيق، وهى: البيئة الطبيعية، والبيئة الثقافية، والبيئة الاجتماعية.

أما البيئة الطبيعية فيتضح أثرها إذا نظرنا إلى اختلاف أساليب تكيف الناس ومعيشتهم وطرق مواجهتهم للحياة فى بيئات مختلفة، فعلى الرغم من تشابه الناس فى حاجاتهم ودوافعهم الأساسية، إلا أننا نلاحظ أن ثمة اختلافاً واضحاً بينهم فى طرق مواجهتهم وإشباعهم لهذه الحاجات، فالبدو فى الصحراء والأسكيمو فى المناطق القطبية، هم إلى حد بعيد نتاج هذه البيئات الطبيعية المختلفة، فنمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد بعيد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم، فالجو والحرارة يجعلان بعض الناس سمر البشرة، على حين يجعلان البعض الآخر بيض البشرة.

أما البيئة الثقافية فلها، أيضاً تأثير واضح جداً فى نمو الشخصية، فأثر الثقافة فى تكوين الشخصية لا يمكن إنكاره

«١» المرجع السابق نفسه

والبيئة الثقافية أو الحضارة التى تنبع من البيئة، يعتبرها البعض العامل الأساسى فى تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق، وقد ورد فى ذلك العديد من الأقوال، منها مثلاً: «إنه بدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراداً، بل كائنات حية عضوية أوذوات سيكوبيولوجية»، «إن عامل التطبيع الاجتماعى هو الذى يحول الفرد من كائن حى بيولوجى إلى كائن اجتماعى يعيش فى بيئة يؤثر فيها ويتأثر بها»، «إن الشخصية لا يمكن عزلها عن الإطار الحضارى الذى نشأت فيه بنوع من الجراحة التى تقضى على حياة الفرد».

أما البيئة الاجتماعية، فإن المجتمع الإنسانى يعرف عامة بأنه جماعة منظمة تعيش فى مكان معين وتشترك فى مجموعة من الاتجاهات وأنماط السلوك والأهداف وتعتبر الجماعة الاجتماعية بالنسبة للفرد أحد النقاط المهمة فى نمو شخصيته، فالمجتمع على نحو ما يقرر «أكرمان» هو البيئة أو الوسط الغذائى الذى تنمو فيه وحدة الفرد وشخصيته بالتدريج وجوهر كل مجتمع هو الذى يشكل محتوى هذه الوحدة، وحين ينمو الفرد فإنه يصبح فى الوقت نفسه وحدة فردية واجتماعية معاً. وهذان المظهران لوحدة الشخصية يتمثلان فى المظاهر الأكثر استمراراً أو الأقل قابلية للتعديل فى بناء الشخصية.

ويعرف «كلوكهون» الثقافة بأنها: «أساليب الحياة المختلفة التى توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، والظاهر منها والضمنى، العقلى منها واللاعقلى، والتى توجد فى وقت معين والتى تكون أساليب إرشاد وتوجيه لسلوك الأفراد فى المجتمع»، وقد قدم «جان كلود فيللو» فى كتابه «الشخصية» تعريفاً للثقافة فى قوله أنها: «مجموعة المعايير، والقيم، ومعايير السلوك التى تترجم أسلوب حياة الجماعة».

ولهذه الفكرة أهمية وفائدة ملحوظة فى تحليل التنشئة الاجتماعية الفردية، كما أن لها - إضافة إلى ذلك - محتوى نفسى اجتماعى فى أساسه، ويقول «هيرزكوفيتز» أحد الرواد الأوائل للأنثربولوجيا الثقافية: «الثقافة هى أسلوب حياة الناس، بينما المجتمع هو المجموع المنظم للأفراد الذين يتبعون أسلوباً معينا فى الحياة»، ويذهب البعض إلى تقسيم محتوى الثقافة إلى ثلاثة أقسام على أساس مدى اشتراك أفراد الجماعة فى عناصر كل قسم منها، وهذه الأقسام هى:

١ - عموميات الثقافة.

٢ - خصوصيات الثقافة.

٣ - متغيرات الثقافة.

فالعموميات هى التى تؤدى إلى تشكيل نمط مشترك من

الاتجاهات يمتاز به أفراد ثقافة ما عن غيرها من الثقافات. كما أنها تؤدى إلى ظهور الاهتمامات المشتركة التى تجمع بين هؤلاء الأفراد، وهذه حقيقة سيكولوجية مهمة تبنى عليها أساسها وحدة الجماعة وأهدافها المشتركة.

أما الخصوصيات فهى العادات والتقاليد والأنماط السلوكية المختلفة المتعلقة بمناشط اجتماعية بينها تأثير متبادل والتى حددها المجتمع للقطاعات المختلفة منه أثناء تقسيمه للعمل بين أفراد العوامل الثقافية التى تسملها الخصوصيات هى فى معظمها خاصة بالمهارات اليدوية والمعرفة الفنية، أما متغيرات الثقافة فهى العناصر التى نجدها بين أفراد معينين ولا تكون مشتركة بين أفراد الثقافة جميعهم بل تكون سائدة بين طبقة لها تنظيم اجتماعى معين.

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نشير إلى صفات أساسية للثقافة، منها:

١ - أن الثقافة مستقلة نسبياً عن الأفراد الذين يحيونها، ولو أنها لا تحيا بدونهم، فالثقافة تتخطى حياة الأفراد وحياة الجيل من أجل البقاء والاستمرار، وهى تبقى وتستمر فى أشخاص يحملونها وينقلولنها من فرد إلى آخر ومن جيل إلى جيل.

٢ - أن كل ثقافة تعتبر بالنسبة لأفراد الجماعة بمثابة النماذج والمعايير التى يصرحون بها ويتقاسمونها ويشاركون فيها، وتعتبر من الناحية الموضوعية الصورة الإجمالية العامة للسلوك المكتسب المتعلم ونتائجه.

٣ - أن الثقافة مكتسبة، تنتقل من جيل إلى آخر ومن عضو لعضو، ينقلها الأفراد والجماعات، فهى ليست فطرية، فما يبدو غريزيا فطريا للبعض هو فى الواقع سلوك مكتسب متعلم، ولذلك فالتراث الاجتماعى والثقافة يتراكمان عبر الأجيال وينتقلان من جيل الآخر.

والعلاقة المتبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة، تتم من خلال عمليات التفاعل بين الأفراد، ومن خلال عمليات التطبيع الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية، فالأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا فى محيط ثقافى وعن طريق اكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع.

وعمليات الاكتساب هذه تتم من خلال التطبيع الاجتماعى الذى يهدف إلى إحداث تكامل بين الفرد ونمط الثقافة السائد فى مجتمعه، ويلعب المحيط الأسرى دوراً مهما فى هذا الصدد، فالشخصية تتشكل إذن خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى ويتأثر تكوينها بالثقافة المستخدمة فى عملية التنشئة الاجتماعية والشخصية

الانسانية حسب هذه النظرة، هى: تنظيم الفرد لأفكاره وأعماله وإتجاهاته فى العمل فى ضوء المعايير الاجتماعية والاطار الثقافى الذى يعيش فيه، وهذا التنظيم من شأنه أن يجعل شخصية الفرد وحدة فى أساسها، وفى الوقت نفسه تكون هناك مظاهر عديدة من الشخصية الانسانية مشتركة بين الفرد والآخرين فى المجتمع.

ويذهب «كمبل يانج» فى كتابه «علم النفس الاجتماعى» إلى ضرورة توافر عناصر معينة فى كل ثقافة من أجل أن نفهم تكوين الشخصية وهذه العناصر هى: الانتظام ودرجة الثبات والجمود فى التعلم ومقدار الإحباط الذى يتعرض له الطفل ومقدار الحب ومقدار الجزاء والضبط الخلقى وفكرة الذات التى تفرض على الطفل، والكيفية التى تلبى بها حاجات الطفل، والتأثيرات الجسمية التى يعاينها، وهكذا فالعالم الذى يتصل به فم الطفل ليس واحداً، كما أن الاختلافات والفروق فى هذه الخبرات لها تأثير كبير فى نمو الشخصية.

كما أن وجود معايير ثقافية متماثلة داخل ثقافة معينة تتصل بأساليب تنشئة الطفل، من شأنها أن تخلق أساليب مشتركة للاستجابة، تعد مسئولة بدورها عن هذا القدر المشترك من السمات الأساسية فى الكبر، بين أفراد المجتمع

الواحد أو الثقافة الواحدة، وهكذا يظهر نمط «الشخصية الأساسية» أو «الشخصية القومية».

وقد أشار «كاردنير» إلى جوهر الشخصية الأساسية عندما أراد أن يعبر عن الفكرة القائلة بوحدة ضرورية فى جوانب الشخصية التى تتكون تحت ظروف ثقافية مشتركة، وقد حدو«كاردنير» نمط الشخصية الأساسية بقوله: إنها الشخصية التى يشارك فيها المجموع العام من أفراد المجتمع نييجة الخبرات الأولى التى مروا بها جميعا، وتتضمن هذه الفكرة النواحى الآتية:

١ - أن الثقافة تحدد ما يلقنه الآباء للأبناء وطريقة تلقينهم إياهم.

٢ - أن الثقافات المختلفة لها أساليبها المختلفة فى تنشئة الطفل وتربيته والدروس المختلفة التى يتلقنها الطفل.

٣ - أن خبرات الطفل المبكرة تترك آثاراً مستمرة فى نمو شخصيته.

٤ - أن الخبرات المتشابهة تميل إلى إنتاج شخصيات متشابهة داخل الثقافة الواحدة.

والخلاصة : أن الثقافة تشكل الشخصية أساساً، لأنها

تقدم حلولاً جاهزة ومدروسة من قبل لكثير من المشكلات التى يواجهها الفرد فى الحياة فى هذه الثقافة، لكن الثقافة ليست التأثير الوحيد الثابت الذى يفرض على جميع أفراد المجتمع، فهناك عوامل أخرى، معرفتنا بها ليست واضحة ومحدودة، منها مثلاً: الآثار التى تفرضها الضغوط المستمرة للبيئة الطبيعية على الشخصية، هل المعيشة - مثلاً - فى بيئة ممطرة باستمرار، تجعل الناس أميل إلى الاكتئاب والسلبية بينما المعيشة فى بيئة معتدلة تجعلهم أميل إلى الابتهاج والحيوية، وهناك كذلك الدور الذى تلعبه الأسرة كبيئة تعليمية فى تنشئة الفرد، وأثر هذه التنشئة على الشخصية (١) فدور الأسرة من أهم المؤثرات فى تكوين وتشكيل الشخصية منذ الطفولة الباكرة لأنه يتوخى تحقيق عملية ضبط السلوك، وعملية تنمية السمات، كما أن الأسرة أثناء قيامها بهذا الدور تمد الطفل بالخبرات التى يكون فكرته عن ذاته من خلالها، وكذلك فكرته عن الآخرين.

محددات الدور:

الدور الذى يقوم به الفرد فى المجتمع هو العامل الثالث الذى أشار إليه «كلوكهون وموري وشنيدر» فى حديثهم عن محددات الشخصية. وليس من شك فى أن لهذا الدور أثره

(١) سيكولوجية الشخصية: سابق.

البالغ فى تحديد وتشكيل الشخصية، وفكرة الدور تمدنا بأداة تفيد خصوصا فى تحليل عملية التطبيع الاجتماعى والتثقيف.

وكما أوضح «جورج ميد» فإنها تسمح لنا بربط السلوك الفردى بمعايير جماعة معينة تتصل بالسلوك «المتوقع» من الفرد حسب سنه وجنسه وتخصصه المهنى والوظيفى وحالته المدنية، وحتى لو لم يكن هناك دائما تطابق مع النمط المثالى للسلوك المتوقع من الفرد، إلا أن الفرد يعرف مثل هذا النمط المثالى من السلوك سواء بالنسبة له أو للآخرين.

فالدور هو نوع متشكل عن المشاركة فى الحياة الاجتماعية، أو هو كما عبر عنه «ألبورت» ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذى يحتل مركزاً معيناً داخل الجماعة، فكل مجتمع يحدد لأفراده الأدوار الاجتماعية التى يتوقعها منهم فى حياتهم العادية، ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار فى حياته الاجتماعية فالأب - مثلاً - بعد خروجه من المنزل والذهاب إلى عمله يقوم بدوره كموظف أو كعامل أو كمهندس أو كطبيب، أى أنه يقوم بدوره الذى يتوقعه منه المجتمع فى مجال العمل، وهو عندما يعود إلى منزله نجده يمارس دوره كأب، ثم بعد ذلك قد يكون عضوا فى ناد أو جماعة دينية إلى آخر هذه الأدوار العديدة التى يقوم بها فى المجتمع.

والأمر بالمثل بالنسبة للأم والأولاد ولأى فرد آخر فى الحياة، فحياة كل فرد يمكن النظر إليها على أنها سلسلة من الأدوار المتتابعة التى تربط الفرد بمجموعة من النظم الاجتماعية المختلفة، ولكن قد يحدث أحيانا صراع أو تعارض بين هذه الأدوار المختلفة، مثل الصراع بين دور المرأة كأم ودورها كموظفة، والمقصود بالدور هو السلوك الذى يمارسه الفرد فى كل مركز اجتماعى يشغله، ويميز «ألبورت» معان أربعة للدور، هى:

١ - توقعات الدور: وتكمن فى النظام الاجتماعى، وهى بمثابة ما تقررة الثقافة أو الثقافات الفرعية من توقعات الفرد سواء أكان أباً أم أماً أم تلميذاً أم صانعاً أم طبيباً، إلخ، إنها تقرر ما هو متوقع من كل فرد يشغل مركزاً معينا داخل النظام الاجتماعى.

٢ - تصور الدور: هى الصورة التى لدى الفرد - أبا أو مدرسا أو طبيبا - عن دوره الذى يقوم به وهل تتفق أو لا تتفق مع توقعات الدور، فالمدرس يعرف مثلا ما هو متوقع منه، لكن المشكلة هى ماذا يتوقع هو من نفسه؟ فهو يحدد دوره على طريقته الخاصة.

٣ - تقبل الدور: بعض الناس يتقبل أحيانا الدور الذى

يقوم به (سواء حدد هذا الدور فى ضوء توقعات الآخرين أو فى ضوء فكرتهم عن أنفسهم) والبعض الآخر لا يشغل نفسه كثيراً بهذا الدور الذى يقوم به، بينما البعض الثالث قد يكره أحياناً الدور الذى يقوم به فى الحياة.

٤ - أداء الدور : وأداء الفرد لدوره الذى يتوقعه المجتمع منه أو اختاره فى ضوء فكرته عن نفسه يتوقف على عوامل عديدة منها: هل هو متحمس له؟ أم غير متحمس؟ هل هو متعاون؟ أم كاره؟ وتوقعات الدور وحدها لا تكفى، لأنها تختلف حسب الأفراد، ولذا فإن أداء الدور يتوقف على العوامل السابقة المختلفة من توقعات الدور وتصور الدور وتقبل الدور وما يصاحب ذلك كله من سمات شخصية الفرد التى تساعده فى أداء دوره.

وقد أوضح «ألبورت» أن هناك معنيين لمفهوم «الذات» - وليس الشخصية - يتصلان بالنظام الاجتماعى، الأول هو توقع الدور الذى يمكن اعتباره فقط كنموذج خارجى أو مثير (ويمكن إعادة تفسيره وتقبله أو رفضه بواسطة الفرد)، والثانى هو أداء الدور الذى يمكن اعتباره نقطة التقاء نظام الشخصية والنظام الاجتماعى، والأداء يتم عن طريق الشخصية ولكنه يؤثر فى النظام الاجتماعى، ويمكن أن يقيم كجزء من النظام

الاجتماعى، وهناك معنيان آخران للدور يتصلان بالشخصية وهما: تصور الفرد لدوره وكيفية تحديده له فى الحياة والآخر تقبل الفرد لدوره أو نبذه إياه.

والطفل عموما يكتسب الأدوار خلال عملية نموه وتربيته، وخلال عملية تطبيعه الاجتماعى، فهو يتعلم من الأسرة بالتربية كيفية القيام بمجموعة من الأدوار التى سوف تساعده على أن يحدد نفسه ودور ككائن حى فرد متمايز عن غيره من الأفراد.

وتتدخل بعض العوامل فى تحديد الدور داخل الأسرة وعبر عملية التنشئة الاجتماعية، وأهم هذه العوامل: عامل الجنس، إذ يجب أن يسلك الولد كولد، والبنت كبنت، ثم عامل الطبقة الاجتماعية، وعامل السن، ومن خلال التطبيع الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل «سلوك الدور»، وهو هدف من أهداف التنشئة الاجتماعية يضاف إلى أهداف أخرى منها: الضبط السلوكى، وتنمية السمات، وتكوين وتنمية الفكرة عن الذات.

ونحن فى قيامنا بسلوك الدور نصدر فى سلوكنا عن نظرتنا لانفسنا وفكرتنا عن ذواتنا، وما نعتقد أنه يمثل المطالب الخاصة للمرور الذى نقوم به، وهكذا يتدخل «الدور» وما يتصل به فى تحديد وتكوين شخصيتنا وسلوكنا.

محددات الموقف:

وأخيراً نأتى إلى المحدد الرابع من محددات الشخصية، وهو: محددات الموقف، فما أعظم تأثر شخصيتنا بمواقف الحياة المختلفة، وليس من شك فى أن «الموقف» المعين يملى على الفرد سلوكا معينا، وأن السلوك يعبر عن استجابة خاصة بهذا الموقف وحده، وتختلف الاستجابات تبعا لاختلاف المواقف.

يقول «جون ديوى»: إن الأمانة والمحبة والشجاعة والبخل والمكر وعدم تحمل المسئولية أو تحملها ليست ممتلكات خاصة بالفرد، بل هى توافقات أو تكيفات فعلية لقدرات الفرد مع قوى البيئة، فليس ثمة شىء يمكن أن يعد ذاتياً أو شخصياً دون أن يكون فى الوقت نفسه انعكاساً للبيئة المادية والاجتماعية والثقافية والمواقف التى يمر بها الفرد».

وهناك حقائق ثلاث أشار إليها «ألبورت» عند النظر فى محددات الموقف، هى:

الحقيقة الأولى: أن معظم الناس عندما يواجهون بمواقف جديدة غريبة يتحفظون فى السلوك أو يميلون إلى الانسحاب، وبعبارة أخرى فإنهم يميلون إلى تجنب اتخاذ موقف إيجابى نشط، أما فى المواقف العادية فهم يميلون إلى التعبير عن أنفسهم ويكونون عادة أكثر نشاطاً وفاعلية، وفى ضوء هذه الحقيقة فإننا نميل إلى تحقيق ذواتنا، وإذا عجزنا عن ذلك - على نحو ما قد يحدث فى الموقف الغريبة - فإننا نميل

إلى الانسحاب.

الحقيقة الثانية : هى أن صغار الأطفال «موقفيون» أكثر من الكبار فهم يحيون الموقف المباشر الذى يمرون به، فهم فى حالة مرحهم يمرحون بصخب، وفى حالة خوفهم يخافون بشدة، وكأنهم يفتقرون إلى «الشخصية الداخليَة» حتى يمرون بهذه المواقف، ومن الواضح أن الكبار عامة أقل خضوعا للموقف من الأطفال.

الحقيقة الثالثة: أن معظم الناس يقومون بدور كبير فى خلق المواقف التى يستجيبون لها، فالشخص الذى يحب الحفلات والاجتماعات يسعى إليها وإلى عقد هذه الحفلات والاجتماعات، وقد يفسر مرحه وسروره بأنه نتيجة للموقف، ولكن أليس الموقف نفسه نتيجة لعوامل تتصل بشخصيته هو أيضاً؟ وباختصار أن المواقف التى نجد فيها أنفسنا، غالباً ما تكون نتيجة مباشرة لشخصياتنا» (١).

تلك هى المحددات الأربعة للشخصية كما وضعها «كلوكهون وموری وشنيدر»، وهى المحددات التكوينية ومحددات عضوية الجماعة ومحددات الدور ومحددات الموقف ولكن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحدها عن الآخر، بل تعمل متوافقة متكاملة مع بعضها، مترابطة كأشد ما يكون الترابط.

«١» المرجع السابق

نمو الشخصية

ترتبط دراسة «نمو الشخصية» بدراسة مراحل النمو المختلفة التى يمر بها الانسان منذ لحظة الميلاد وحتى مرحلة الشيخوخة.

وقد اختلف العلماء فى تقسيمات مراحل النمو، وذلك لاختلاف وجهات النظر التى ينظرون بها إلى تلك المراحل، فجاءت تقسيمات «جرين» من خلال منظار دراسته لأحلام اليقظة، وجاءت تقسيمات «فرويد» من خلال منظار دراسته للنواحى الجنسية، وظهرت تقسيمات أخرى لعلماء آخرين مثل «ستانلى هول» و«هوايت» و«كلاباريد» وغيرهم، لكن هذا لا يمنع من أن نتخذ التقسيم الأكثر شيوعاً وانتشاراً أساساً لدراستنا، إذ هو أكثر إبرازاً وتحديداً لخصائص ومميزات كل مرحلة، وهو:

١ - سن المهد: ويبدأ من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية تقريباً.

٢ - مرحلة الطفولة الأولى: من بداية السنة الثالثة حتى نهاية السنة الخامسة.

وتمتاز هاتان الفقرتان بأنهما فترات نمو حركى كبير

يصحبهما نمو عقلى كبير.

٣ - مرحلة الطفولة المتأخرة: من بداية السنة السادسة حتى سن الثانية عشرة.

٤ - مرحلة المراهقة: من بداية السنة الثانية عشرة إلى نهاية السنة الرابعة عشرة.

٥ - مرحلة اكتمال النمو: من بداية السنة الخامسة عشرة وما بعدها.

٦ - مرحلة الشيخوخة.

ولنبدأ بتناول هذه المرحلة، كل مرحلة منها على التوالى، بشىء من التفصيل.

دور مرحلة المهد:

منذ اللحظة الأولى للميلاد، ويبدو الطفل كما لو لم يكن له حياة عقلية بالمرة، وتبدو الحركات العشوائية واضحة مميزة حتى تأخذ حواسه فى النمو، فتنمو حواس اللمس والشم والذوق والسمع، ثم تبدأ إيجابيته فى الظهور عند الشهر الرابع من حياته، وتأخذ هذه الإيجابية فى النمو كلما اقتربت السنة الأولى من نهايتها، فبعد أن كان سلبياً صرفاً فى كل حياته يبدأ بفرض نفسه فيفرض شخصيته على أمه وأبيه والمحيطين به.

فهو يناغى وينطق أحيانا، ويحبو ويزحف، ويقبض على الأشياء ويلقى بها بعيداً وقد يكسرها أو يصيبها بتلف، وهو يمزق الورق ويحطم الأدوات وبعض الأشياء ويقضم الطعام ويميز عن طريق فمه كل ما تصل إليه يداه، ومن المميزات الواضحة لهذه المرحلة، التسنين والفطام والمشى والكلام، فأما المشى والكلام فلهما أهميتهما الخاصة فى هذه المرحلة. إذ عن طريق المشىء يصبح الطفل الراقد على ظهره قادراً على الحركة، هذه الحركة التى تمكنه من الاتصال بالعالم الخارجى، وعن طريق الكلام يصبح قادراً على التفاهم، وعن طريق ذلك الاتصال وهذا التفاهم تنمو خبرته وتزداد تجربته وبذلك ينمو عقله.

هذا علاوة على أن المشى سيبعده لأول مرة عن أمه إذ هو سوف يستقل عنها ويستطيع أن يؤدى أعمالاً لا تساعده فيها أمه ولا يطلب فى تأديتها عونها ومساعدتها كما كان يفعل من قبل، وهو بذلك يستقل عن أمه رويداً رويداً، ويدرك أشياء مختلفة متباينة لم تقع من قبل فى خبرته ولم يكن له بها سابق عهد، فيدرك الفروق بين الأشياء كالفرق فى الطول والعرض والارتفاع والبعد والسخونة والبرودة والنعومة والخشونة، إلى غير ذلك من الخبرات والمعلومات التى لا يمكن له أن يقف عليها أو يكتسبها بسرعة لو لم تعده الطبيعة بالقدرة على المشى.

وكثيراً ما يتعجل الطفل الحركة فنراه عادة يحبو قبل أن يمشى وهو يتكىء على شىء ليساعده على الحركة والانتقال من مكان إلى مكان، ذلك لرغبته فى أن يصل إلى ما هو بعيد عنه أو إلى ما حرمته أمه من اللعب به أو إلى شىء استهواه لونه أو شكله أو صوته الذى يحدثه مدفوعا إلى ذلك بدوافع مختلفة زودته بها الطبيعة كالملكية وحب الاستطلاع مثلاً، والواجب على الأمهات ألا يمكن الطفل من الحبو دائماً فإن ذلك يؤخر نمو قدرته على المشى، إذ هو يصل إلى أغراضه عن طريق الحبو وينعدم بذلك الدافع إلى المشى الطبيعى ويستمر الطفل يحبو لفترة طويلة تقصر كثيراً إذا لم يمكن الطفل من الحبو دائماً.

أما عن التسنين: فله أيضاً أهميته الكبرى عند الطفل، إذ بعد أن كان الطفل لا يأكل إلا أطعمة معينة لها خواص معينة من حيث درجة الحلاوة والحرارة والسيولة كلبن الأم أو الألبان الأخرى الصناعية، يستطيع بعد التسنين أن يأكل الأشياء نصف السائلة أو الصلبة كما يستطيع أن يأكل أطعمة باردة أو غير حلوة مثلاً.

وقد يسبب هذا انفعالات مختلفة عند الطفل تؤدى إلى أزمات نفسية إذ أن الطفل سيفقد الحنان الذى كانت تبديه له

الأم وكان يتمتع به أثناء الرضاعة، وعدم الشعور بالحنان فى هذه الفترة من حياة الطفل يسبب له أزمات نفسية حادة تدعونا إلى أن نطلب من الأمهات أن يتدرجن فى الانتقال من مرحلة الرضاعة إلى مرحلة الفطام خشية ظهور هذه الأزمات الإنفعالية، وكما كان المشى سبباً فى ابتعاد الطفل عن أمه واستقلاله عنها كذلك التسنين فهو يمكن الطفل من عدم الاعتماد على أمه فى تناول طعامه، وبذلك ينتقل من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة فيصبح قادراً على أن يأكل بمفرده كما يصبح قادراً على أن يعض وأن يقضم وبذلك تتسع دائرة خبراته عن طريق إتساع مدى مقدرة الفم نفسه إذ المعروف أن الفم هو أداة الطفل فى هذه المرحلة من حياته، فهو وسيلته إلى إشباع رغباته وأداته فى الاتصال بالدنيا حوله وبذلك تتسع دائرة خبرته ومعرفته بالناس والأشياء الأخرى.

كذلك من الأمور المؤثرة فى حياة الطفل فى هذه المرحلة بدء معرفته للكلام إذ عن طريق الكلام يعبر الطفل عن نفسه بعد أن كان لا يستطيع إلا بالإشارة أو البكاء، وبدء معرفة الطفل للكلام تمكنه من أن يسأل عما يريد وأن يرد على ما يوجه إليه على قدر طاقته، وكلما نجح الطفل فى ذلك، - أى نجح فى التعبير عن نفسه - كلما شجعه ذلك وعلى الاستمرار فى الكلام حتى ليلح فى ذلك إلحاحاً قد يضجر الكبار

ويدفعهم إلى أن ينهروه فى ضيق أو يطلبون منه السكوت فى عنف، إلا أن ذلك كله لا يؤثر فيما يكتسبه الطفل من ألفاظ وكلمات تزداد بها ثروته اللغوية، كما تزداد تبعاً لذلك خبراته ومعرفته بالناس والدنيا من حوله.

مرحلة الطفولة المبكرة:

قلنا إن الطفل عندما تنمو مقدرته على الكلام والمشى لا يهدأ ولا يستقر دون أن يتصل بكل إنسان يعيش معه، وهو يسأل أسئلة تبدو تافهة ولكنها تهمه هو شخصيا فهو يسأل عن الناس وماذا يحملون له معهم من حلوى وهدايا؟ ولا يلبث بعد فترة أن يسأل عن درجة قرابتهم له ولم أتوا إلى منزله؟ ثم لا يلبث أن يتصل بزملائه ورفاقه فى اللعب، ويتعامل مع السلطة الضابطة الموجهة ويتعامل مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وبذلك يفهم نفسه ويفهم غيره ويقيس نفسه بمقياس نسبى بالنسبة لغيره وبذلك تبدأ فكرته عن نفسه، أى «الأنا» فى التكوين.

ثم هو يلقى سيلا منهمراً من الأسئلة عن كل ما يحيط به من أشياء، فيسأل عن أسمائها أو أشكالها وسبب وجودها وكيف يمكن الاستفادة منها؟ ثم هو لا يلبث أن يتصل بالأشياء ذاتها يفحصها بيده ويتذوقها بلسانه ويختبرها بأسنانه، كل

ذلك وهو مدفوع بدوافع طبيعية تمكنه من اكتساب خبرات ومهارات ومعارف وتجارب، وقد لا يمكن الكبار الطفل من أن يتصل بهذه الأشياء خشية أن يكسرها أو يتلفها ولذلك يضطر الطفل إلى أن يعمل فى الخفاء ما قد حرم عليه فعله فى العلن، وبذلك يتعرض الطفل للضرب والإهانة، وحينئذ نكون قد حلنا بين الطفل وبين التنفيس عن نزعاته ودوافعه، علاوة على أننا بفعلنا هذا قد حرمناه من الشعور بالمحبة والعطف والطمائنينة والأمن وهما حاجتان من حاجاته النفسية.

ولذلك فنحن ندعو إلى أن يمكن الطفل من الاتصال بالأشياء والأدوات فى بيئته اتصالاً مباشراً على أن يكون ذلك تحت إشرافنا حتى لا يلحق الطفل ضرراً بنفسه، أو بما يتصل به من أدوات وأشياء، وحتى ينفس عن دوافعه ويحقق حاجاته النفسية، وكذلك يكتسب الخبرات والمعلومات والمهارات التى يحققها له اتصاله المباشر بما تحيط به من أشياء وأدوات.

ومن المميزات التى تظهر فى هذه الفترة من حياة الطفل حبه للتقليد واللعب التمثيلى أو الإيهامى، وهو الذى يتمثل فيه الأشياء حيوانات تجرى أو إنسانا يتكلم كما يتوهم أن الحيوانات تنطق أو تتحدث، وهو يلجأ إلى هذا النوع من اللعب عندما لا يجد الزميل الذى يلعب معه أو الرفيق الذى يشاطره

لعبه وفى هذه الحالة يسمى اللعب تعويضا أى استعاضة عن رفاق اللعب بالأشياء التى يلعب بها فهو يجريها وهو ينطقها وهو يتحدث إليها تماماً كما لو كان يلعب مع الرفاق، ومن المميزات التى تبدو فى هذه المرحلة واضحة أيضاً سرعة انفعالات الطفل.

وهذه الظاهرة هى امتداد للمرحلة السابقة التى تتميز بسرعة وحدة الانفعالات، فنجد الطفل يبكى ثم يضحك ثم يعاود البكاء وهو يغضب ثم يرضى ثم يعاود الغضب، كل ذلك فى حدة وشدة وسرعة ، ولذلك كان واجباً علينا، آباء وأمهات ومربين، أن نهيىء بيئة الطفل تهيئة تعمل على تخفيف حدة هذه الانفعالات، وأن يكون لنا درستور ثابت فى معاملتنا للطفل، دستور ثابت لا تذبذب فيه ولا استثناء، دستور ثابت تمتزج فيه الرحمة بالحزم، حتى يمكننا أن ننشىء الطفل تنشئة سليمة هادئة متزنة ، فلا يجوز مثلا أن تضرب الطفل إذا عبث بقلمك الحبر وتبتسم له إذا عبث بقلم أخيه أو زميله فى المدرسة، كما لا يصح أن يضرب إذا فقد شيئاً من أدوات المدرسة، ثم لا يعاقب إذا كان السبب فى ضياع شىء من أدوات غيره، فإن هذا يورث الطفل الحيرة والقلق والشك والاضطراب، ولا يعطيه أنماطا من السوك ثابتة يجب عليه أن يحتذيها، وهو بذلك لا يمكن أن يصل إلى المستويات السلوكية

والقيم الأخلاقية والمثالية المطلوبة فى التعامل الاجتماعى، وبذلك ينحرف نمو الأبناء الذين نشأوا فى بيئة غير خلقية ولا منطقية ولا مثالية.

وفى مرحلة الطفولة المبكرة هذه نجد عند الطفل ميلا شديداً إلى التملك ويتسع هذا الميل من رغبته فى تملك الأشياء إلى رغبته فى ملكية الأشخاص ، فيقول: «دى دادتى أنا، وده أبويا أنا، ودى مامتى أنا» ومن أجل ذلك يجب أن نعترف بحقوق الطفل ونحترم ممتلكاته الخاصة من أشياء يلعب بها وأدوات يأكل بها وثياب يرتديها فإن فى هذا العمل أهدافا تربوية وتعليمية منها: راحة الطفل النفسية، وشعوره بالأطمئنان والمحبة فى البيئة التى يعيش فيها. وكذلك تلقينه كيف يحترم ملكيات الآخرين كما فيها حث الطفل على المحافظة على ممتلكاته وأدواته.

والطفل فى هذه المرحلة يخاف من كل ما لم يقع من قبل فى خبرته فهو يخاف الأشياء والحيوانات ويرهب الناس، وكلما كان الشىء أو الكائن الحى غريباً كلما أثار كمية من الخوف أكثر، فهو يخاف الحشرات والقطط والكلاب والإنسان الأسود اللون والظلام.

والواجب أن نعمل على إزالة خوف الطفل بإشاعة الاطمئنان فى نفسه عن طريق تمكينه من لمس الأشياء أو

الحيوانات التى يخاف منها واللعب معها أو بها إذا أمكن ذلك، وعن طريق ما يظهر علينا من الهدوء أمامه عند وجود هذه الأشياء أو الحيوانات فالمعروف أن الطفل يقلد سلوك الكبار تقليداً تدفعه إليه طبيعة فمثلاً إذا هاجمنا طلب أمامه وقلنا له لا تخف وهو يرى علينا علامات الخوف والانزعاج فإنه سيخاف على الرغم من قولنا له: «لا تخف».

كذلك يمكن غرس المثل العليا والقيم الأخلاقية فى هذه السن المبكرة من حياة الطفل وذلك عن طريق الاحساس بالخطأ فهو فى هذه السن يمكن أن يحس بأخطائه وزلاته عن طريق توجيهات الكبار المحيطين به وإرشاداتهم وعن طريق استنكارهم لما يأتيه من أعمال أو ما يتفوه به من أقوال.

والواجب كما ذكرنا من قبل أن يكون لنا دستورنا الثابت فى توجيهاتنا للطفل، فلا يجوز لنا مثلا أن نوبخ الطفل لأنه سب أخاه الأكبر بينما نبتسم له إن سب ابن الجيران، فإن هذا يورث الطفل الحيرة ولا يمكنه من الحكم على أنواع السلوك والقيم حكما صحيحاً.

مرحلة الطفولة المتأخرة:

فى هذه المرحلة يميل الطفل إلى أن يكون واقعياً حقيقياً فيبتعد عن اللعب الإيهامى أو التمثيلى أو الخيالى إلى اللعب

مع الرفاق، اللعب الجمعى التنظيمى الواقعى العملى الذى يهدف إلى هدف واضح ويرمى إلى غرض معين، فالطفل فى هذه المرحلة يصبح عمليا لا خياليا، ولذلك نجده ينضم إلى الجماعات المنظمة، الجماعات التى تهدف من قيامها إلى أغراض عملية علمية أو فنية أو أدبية أو اجتماعية أو رياضية، ولذلك كانت الجمعيات المدرسية فى المدرسة الإبتدائية أحسن وسيلة للتنفيس عن هذه الخاصية فى هذه الفترة من حياة الناشىء إذ عن طريقها يخضع الطفل فى لعبه لقواعد منظمة بعد أن كان فى الفترة السابقة من حياته تشوب لعبه الفوضى فكان لا يرمى إلى قصد ولا يهدف إلى غرض.

ومما يظهر فى هذا الدور أيضاً من مميزات: ميل الطفل للمنافسة والتفاخر فى النواحى الجسمية والحركة بنوع خاص، كما يميل الطفل فى هذا الدور إلى التجول والكشف والمصادقة والاهتمام بالعالم الخارجى من مواد وأشخاص وكائنات حية ولذلك نجده ينفس عن نزعته للملكية بجمع الأشياء المختلفة، ورق الشجر وريش الطيور والفراشات ودود القز وطوابع البريد والمجلات وصور الأماكن والحيوانات والطيور والنباتات.

ويختلف ما يبديه الناشىء فى هذه الفترة من حياته من نشاط حرفى نوعه ومظهره من جنس إلى جنس، فالذكور مثلا

يتجهون إلى النشاط الذى يحتاج إلى مجهود عضلى عنيف مثل كرة القدم أو العدو، أما الإناث فيميلون إلى اللعب الهادئ المنظم والرقص التوقيعى الجميل وترتيل الأناشيد والأغانى والرسم والتلوين وقراءة القصص إلى غير ذلك.

وفى هذه المرحلة أيضاً تبدأ الاتجاهات الاجتماعية فى الظهور؛ فحب الطفل للمنافسة يدفعه إلى الزعامة والقيادة والسيطرة ونصرة الضعيف وإعانة المعتدى عليه، وهو إن لم يستطع ذلك نجده قد ألف الخضوع والانقياد والاستكانة والواجب علينا أن تعمل على أن تكون المنافسة بريئة أو بعيدة عن الحسد والغيرة كما يجب ألا نقف فى طريقها لأنها الخطوة الأولى فى سبيل تكوين الشخصية ، وتجد هذه المنافسة متنفسا لها فى ألعاب السرعة والقوة والشجاعة التى تكون الشخصية السليمة والرجولة الكريمة، فعن طريق الألعاب يتدرب الناشئون على التعاون والاخلاص للجماعة كما يمكن تحويل المنافسة بين الأفراد إلى منافسة بين الجماعات.

كذلك، تبدأ القدرات العقلية فى النضوج فى هذه المرحلة، فالتفكير والتصور والتخيل والتذكر والانتباه تتجه كلها إلى التعبير عن نفسها بوضوح، فقوة الخيال مثلا تتدرج رويداً رويداً من الخيال العابث غير المنظم والذى تختلط فيه الحقيقة

الواقعة بالخرافة العابثة حتى ليكاد يكون خرافيا فى جوهره وتفصيلاته إلى الخيال العملى والواقعى الذى يهدف إلى الانتاج والابتكار وتفهم الحقائق العلمية.

وعندما تقترب هذه الفترة من نمو الطفل من نهايتها نجد أن الألعاب تتجه اتجاها عقليا واضحاً فيميل الناشئون إلى الألعاب العقلية واللفظية والألغاز والاحاجى والمسابقات وألعاب الحظ، والملاحظة أن الطفل فى المرحلة الابتدائية يفكر بواسطة الصور البصرية فهو حينما يريد أن يتذكر شيئاً قاله أبوه فإنه يتصور أباه أمامه أولا ثم يتذكر ما قاله أبوه، وهو عندما يسأل سؤالا يتصور الكتاب أو الكراسة التى بها الإجابة والصفحة التى تحتوى على جواب هذا السؤال ثم يتذكر الإجابة، ولذلك يجب أن نراعى تماما أن نساعد الناشىء على التعلم والتذكر والتفكير بالصور الحسية.

ومما يظهر فى هذا الدور أيضاً واضحاً أن نزعة الطفل الانفرادية التى تتميز بها الفترة السابقة من حياته تبدأ فى الزوال، ويبدأ يشعر أنه عضو فى جماعة، وأن الدنيا ليست له وحده، ويأخذ فى الاندماج فى مجتمعات الرفاق ويتحرر من سلطة الوالدين والأخوة والأهل جميعا ويبدأ يكون لنفسه الأصدقاء ويحلهم محل إخوته فى اللعب ويميل إلى تكوين

الجماعات المنظمة التى تهدف إلى أغراض وترمى إلى أهداف وتخضع فى سلوكها القانون الجماعة أو دستورها الذى ينبع من أنفسهم والذى وضعوه هم بأنفسهم وأحسوا بالحاجة إليه لتنظيم الجماعة التى انضموا جميعاً إليها راضين تحت لوائها فيلتزمونه فى كل أعمالهم ويحترمونه فى كل تصرفاتهم، ويخضعون له عن رضى وعن طيب خاطر.

يلتزم كل منهم بالعمل الذى أخذه على عاتقه يؤديه وإلا عد خارجا عن الجماعة وغير أهل للانضواء تحت لوائها، وبذلك يوقع عليه جزاء الحرمان من عضويتها، ولذلك كانت هذه الفترة من أفضل الفترات فى حياة الناشئين لكى ينخرطوا فى الجماعات المدرسية، فيتعلمون بذلك العيش فى الجماعة والولاء لها والخضوع لقانونها لأول مرة، كما يتمرنون على السعى لرفعة شأن الجماعة والسمو بها إلى أقصى درجات الكمال.

ويحسن فى هذه المرحلة أن تتجه المناهج الدراسية وأساليب التدريس اتجاها يساعد القوى العقلية على النمو السليم، كما يجب أن يترك للطفل الحرية أثناء اكتسابه الخبرات الجديدة فيقرأ ويبحث وينقب، إذ المعروف أن الطفل فى هذه المرحلة يسهل عليه أن يتعلم عن طريق نشاطه الذاتى

وفاعليته، ويصعب عليه جدا أن يتعلم عن طريق ما يلقى عليه إلقاء، أقصد القول: أنه بقدر ما يبديه الطفل من نشاط فى عملية التعلم بقدر ما تكون درجة تحصيله وتعلمه واستفادته.

وهذا يعنى أن الطفل يكتسب خبراته ومعارفه فى هذه السن عن طريق ما يؤديه هو من أعمال لا عن طريق ما يلقنه تلقينا وما يلقى عليه إلقاءً، كما أنه يسهل عليه استخدام عضلاته الصغرى وتنظيم حركاتها ويصبح فى استطاعته إتقان الأمور الحركية الدقيقة كالرسم والكتابة الأمر الذى كان عسيراً عليه فى فترة حياته السابقة.

كما تتميز هذه الفترة ببطء النمو الجسمانى، وبذلك يمكن أن يتمتع الطفل بصحة جيدة إذا حسنت تغذيته وأعتنى بالأنواع التى تقدم إليه الأمر الذى يجعله قليل القابلية للتعب، نشيطاً يستطيع أن يواصل نشاطه لفترات طويلة، وحتى إذا تعب فهو يسترد نشاطه بسرعة فى وقت قصير، كما أن قدرته على مقاومة الأمراض تكون أكبر منها فى المرحلة السابقة وكذلك المرحلة اللاحقة.

مرحلة المراهقة :

يتميز هذا الدور بتغيرات جسمية وانفعالات نفسية واضحة نتيجة لنشاط بعض الغدد وضمور الأخرى، إذ تأخذ الغدد التيموسية والصنوبرية فى الضمور، وتنشط الغدد

النخامية والتناسلية، ومن التغيرات الجسمية البارزة نمو الشعر على المعارفين والشفة العليا عند الذكور ونموه على العانة وحول الأعضاء التناسلية وتحت الإبطين عند الجنسين كما ينمو الثديان عند الإناث.

هذا غير ما يظهر من عدم الاتساق والانسجام فى نمو بعض أعضاء الجسم بسبب إفرازات الغدد التناسلية من هرمونات، كما نجد أن الذكور تخشن أصواتهم، ويميل كلا الجنسين لبعضهما البعض ، كما تبدأ الصفات النفسية فى الظهور، كأن يشعر المراهق بأنه كبر وينزع نزعات استقلالية فى عمله وتفكيره وحياته، كما نجده يميل إلى الإعتداء ويتحين الفرص للزعامة والقيادة والمخاطرة.

ومن نتائج نشاط الغدد التناسلية، نشاط الغريزة الجنسية، الأمر الذى يسبب انفعالات كثيراً ما تضايق المراهقين، لأن سن النضج الجنسى يأتى عادة مبكراً عن النضج الاقتصادى والاجتماعى، ولذلك يمارس المجتمع - بعاداته وقيمة وعقائده وتقاليده - ضغطا لكبت النشاط الجنسى فى هذه المرحلة، ويؤدى هذا الكبت وما يصاحبه من الضغوط والحرمان إلى تغيرات وجدانية عنيفة تظهر بوضوح فى الاضطرابات الانفعالية فيثور المراهق لأتفه الأسباب ويتمرد على السطلة التى تعود الخضوع لها، فيتمرد على والديه

واستاذه ومدرسته لأنهم بعض عناصر المجتمع الذى يحول بينه وبين التنفيس عن غرائزه.

وقد يتحول المراهق نتيجة موقفه الثائر على المجتمع إلى العزلة والانفراد وأحياناً بعيداً عن الناس والمجتمع، وقد نجده أحيانا راضياً عن نفسه وأحيانا أخرى ناقما عليها، كما نراه تارة منشرح الصدر فرحاً باسماً وأخرى مكتئب النفس حزيناً غاضباً، كل ذلك نتيجة الانفعالاته الجنسية الشديدة التى يرزح تحتها، فهو مرة يثور على الدين لأنه فى نظره سبب من أسباب حرمانه وأخرى يلجأ إلى الدين يلتمس فيه المنفذ والمخرج والوسيلة فيتعبد ليوفق بين الحرمان والعبادة، وهكذا نجده يتذبذب بين الإيمان والرفض الدينى وبين الرضى والسخط وبين التدين والإباحية، وتلعب الأحلام بقسميها وخصوصا أحلام اليقظة دورها المهم فى التنفيس عن الصراعات التى يعانيها المراهق.

ومن الميزات البارزة لهذه المرحلة أيضاً ما يطرأ على المراهق من ميل إلى التخلص من البيت ورغبته فى الاندماج فى مجموعات الزملاء والرفاق وفى هذا الوقت بالذات نجده يميل إلى أن يجد لنفسه بطلا يتمثله ويعجب به ويقلده فى أفعاله وأقواله، ذلك لأنه فى المرحلة السابقة كان يرى فى

والديه المثل الأعلى الذى يريده وبذلك كان دائم الصلة بهما دائم التقليد لهما ينزلهما من نفسه منزلة لا ينزلها لسواهما.

ولكنه فى هذه المرحلة يريد أن يتحرر من مرحلة الطفولة فهو يريد أن يتحرر من المنزل ومن كل من فيه وما فيه ويخرج إلى افاق بعيدة جديدة من كل ما يذكره بطفولته حتى ولو كانت سعيدة لأنه يريد الآن أن يضع نفسه فى مصاف الكبار، له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن عارضه والداه فى ذلك لا يتورع عن الخروج عليهما وإتهامهما بالرجعية والقصور فى التفكير وضيق الأفق وقلة الخبرة وعدم الجرأة على مسايرة الزمن، ، وينتقدهما سراً وعلانية، وهو بذلك يريد أن يكمل رجولته وأن يتحرر من طفولته التى لازمته اثنتى عشرة عاماً، ومن أجل ذلك لا يتورع أيضاً عن نقد أساتذته وتسخيف ما يبدونه من آراء أو أفكار أو عقائد كان هو نفسه بالأمس القريب يعجب بها ويتحمس لها ويدافع عنها ويرى فيها الخير كله.

وهكذا يأخذ المراهق فى البحث عن شخصية أخرى يتخيلها ويتقمصها فى وقت واحد معاً، تاركا وراءه، مراحل تكوين الخلق التى مرّ بها من لذة وألم وثواب وعقاب ورضاء أمه وأبيه عنه أو سخطهما عليه، إلى مرحلة أوسع فيتمثل بطلا من الأبطال يعجب به المجتمع ويقدر فيه الرجولة

والبطولة والتضحية والفداء، وقد يشتد إعجاب المراهق بالبطل الذى أختاره إلى أن يصبح إعجاباً لدرجة العبادة، لذلك يسمى بعض العلماء هذه المرحلة، مرحلة «عبادة البطل».

ومن أجل ذلك كانت فترة المراهقة أنسب الفترات لتكوين المثل العليا والقيم الأخلاقية والعادات الاجتماعية عن طريق دراسة القادة والزعماء والأبطال التاريخيين والمعاصرين والمصلحين الاجتماعيين.

وقد يريد الناشئ أن يتحرر من طفولته فينجرف فى ذلك التحرر ويلجأ إلى العنف على صور شتى فقد يقسو أو يغلظ أو يشتد فيهاجم هذا ويشاكس ذاك، ويسب أو يلعن من يعترض طريقة أو يقف فى سبيله أو هو يعمل أعمالاً يستشعر منها القوة كأن يسرق ممتلكات الآخرين، أو يتهرب من المدرسة، أو يتأخر عن العودة إلى بيته، وإن نصحه إنسان لا يتورع أن يقول له : وما شأنك أنت؟، وإذا أبان له أحد وجه الخطأ أو الخطر أو الضرر من عمل يقوم به، لا يتورع عن أن يقول له: «وأيه يعنى.. ولا يهمنى»! إلى آخر هذه الأساليب التى تشعر المراهق أنه فارق طفولته إلى غير رجعة، ومن أجل ذلك نجد أن هذه الفترة - فترة المراهقة - من أخطر الفترات فى حياة الناشئين إن لم تكن أخطرها جميعا.

النمو العقلي في فترة المراهقة :

لقد ثبت أن الذكاء وهو العامل العام كما يسميه «سبيرمان» يستمر في النمو إلى أن يقف نهائياً عند الاعتياديين من الناس في سن السادسة عشرة، وعند الأغبياء في سن الرابعة عشرة، وعند الأذكياء في سن الثامنة عشرة.

والذي يهمنا من هذا الأمر هو ظهور الفروق الفردية على شكل صارخ في فترة المراهقة، ويقصد بالفروق الفردية: الفروق في الذكاء (العامل العام) وفي القدرات الخاصة، والقدرات النوعية، وكذلك الفروق في الحالات المزاجية والصحة الجسمية والفروق قوة النزاعات والدوافع وشدتها أوضعفها.

ومن القدرات الخاصة التي تظهر ظهوراً بارزاً في هذه المرحلة: «القدرة على الانتباه»، فالمراهق يستطيع أن ينتبه إلى شيء ما لفترة طويلة من الزمن وذلك على العكس من مرحلة الطفولة المتأخرة؛ فقدرة الطفل على الانتباه فيها محدودة ولوقت قصير، كذلك القدرة على التذكر، فلم يعد التذكر في هذه المرحلة آلياً يعتمد على الحفظ والسرد دون الفهم أو التمحيص كما كان الحال في فترة الطفولة المتأخرة (المرحلة الإبتدائية)، إنما تعتمد عمليات التذكر عند المراهق على فهم الموضوع وربط أجزائه بعضها ببعض واستنتاج العلاقات بين

هذه الأجـزاء وإخـراج النتـائج من الأسـبـاب والخـواتيم من المقدمات ثم ربط الموضوع كله بغيره من الموضوعات.

ويعنى ذلك أن قـدرة التـذكـر عند المراهق قـد قـويت، ولذلك فهو لم يعـد يتخذ من حفظ الببغاوات طريقـة له فى الحفظ كما كان فى المرحلة السابقة من حياته، وإنما أصبحت ذاكرته تعتمد على الأسس المنطقية السليمة، وذلك لنمو قدرته على التفكير المنطقى السليم.

ومن القدرات الخاصة التى تفصح عن نفسها أيضاً فى هذه المرحلة: القدرة على التفكيـر والتعبيـر، لكن هذه القدرة تحتاج إلى الاستخدام والتوجيه والارشاد، إذ أن المراهق إذا لم يجـد من يرشـده إلى التفكيـر السليم الهـادىء المتزن ينساق لطبيعته التى تبغى التحرر من عهد الطفولة بما يتبعها من سلطة مفروضة عليه تتحكم فيه وتستبد به كما يعتقد ويظن وينساق وراء الآراء المثيرة أو المنحرفة.

والواجب أن يعنى الآباء والمدرسون بهذه الناحية من حياة المراهق النفسيـة عناية كبيـرة فيـدربونه على التفكيـر السليم الدقيق المنزه عن الغرض، وبذلك يتجنب المراهق الزلل والخطأ أو الانقياد خلف الأفكار المضللة والهدامة(١).

تلك هى مراحل النمو النفسى حتى مرحلة المراهقة، وقد

---

(١) أسس التربية وعلم النفس: سابق.

تجنبنا استعراض النظريات والمدارس والاتجاهات النفسية التى قامت بدراسة هذه المراحل، واكتفينا بتناول أشهر تقسيمات مراحل النمو بشكل مبسط يحقق الهدف الذى نرمى إليه، على أن نمو الشخصية عموماً شأنه شأن محدداتها، يتأثر بعدة عوامل منها ما هو تكوينى، ومنها ما هو بيئى، ومنها ما هو احتماعى أيضاً.

ويفهم مما سبق أن الشخصية تبدأ فى التكون منذ المراحل الأولى فى حياة الإنسان (خلال العام الثالث من حياة الطفل)، ومن الميلاد وما بعده تبدأ الفروق الفردية فى الشخصية تكون ملحوظته، وهناك من العلماء من يعارض هذا الرأى مثل «سوليفان»، كما أن هناك من يتخذ موقفا وسطا مثل «ألبورت»، ولأنه من الصعب أن يتفق العلماء على رأى واحد فى مسألة نشأة الشخصية فى المرحلة الأولى بعد الميلاد فقد فضلنا عدم التعرض لآرائهم واكتفينا بالجداول التى توضح وجهة نظر كل منهم فى مراحل النمو وعلاقتها بتطوير الشخصية فى آخر الكتاب.

ومع ذلك فحتى لو كانت الشخصية لا تتكون فى المرحلة المبكرة بعد الميلاد فليس من شك فى أن الطفل يولد مزوداً بمادة خام تنشأ منها الشخصية فيما بعد، هذه المادة الخام هى الجسم والمزاج والذكاء وهى نواح ترتبط بالعوامل الوراثية.

بناء الشخصية

من المستحيل طبعا أن نتحدث عن وجهة نظر واحدة فى بناء الشخصية؛ ذلك أنه عبر التاريخ الطويل لعلم النفس، ظهرت الكثير من المدارس والتيارات والاتجاهات التى قدمت العديد من الأفكار والنظريات حول «بناء الشخصية»، وقد بدأ الفكر اليونانى بتقويم نظرية الأنماط القائمة على أساس فكرة الأمزجة الأربعة الأساسية التى قال بها «أبقراط» وهى المزاج الدموى، والمزاج السوداوى، والمزاج الصفراوى، والمزاج البلغمى.

وهى الأمزجة التى تقابل العناصر الطبيعية الأربعة لإنباذ وقليس وهى: الهواء والتراب والنار والماء، وظهرت بعد ذلك فكرة «الملكات» التى نظر على أساسها إلى الطبيعة البشرية على أنها مكونة من وحدات بسيطة هى «الملكات» فكان هناك «قوى» الذاكرة والتفكير والتصور والتخيل، إلخ.

ولقد بحث «فراتر جوزيف جول» مؤسس علم الفراسة (١٧٥٨ - ١٨٢٨) عن ملكات ذات صلة وثيقة بالصفات الشخصية كالغرور والصداقة، وكان «جول» أيضاً مهتما بالفروق الفردية وتفسيرها بالرجوع إلى فكرة الملكات، وتحت تأثير «داروين» انتقل الاهتمام بدراسة الشخصية من الملكات إلى «الغرائز».

ويعتبر «وليم مكدوجل» الممثل لهذا الاتجاه فى علم النفس مع بداية القرن العشرين، لقد نظر «مكدوجل» إلى الغرائز باعتبارها الوحدات الأساسية التى يقوم عليها السلوك والذى فى ضوئه يمكن تفسير شخصية الفرد، وقد دعم «فرويد» هذا الاتجاه حين ذهب إلى القول فى تفسيره للسلوك والشخصية بوجود غريزتين أساسيتين هما غريزة الجنس وغريزة العدوان، وقد تغيرت الصورة بعد ذلك وتعددت النظريات والآراء فصادر السلوكيون على وجود الحوافز، وهى إلى حد بعيد اشتهاءات فسيولوجية، باعتبارها الوحدات الأساسية التى تقوم عليها الشخصية.

بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بوجود «الحاجات»، وهى على عكس الغرائز، ليست فطرية بالضرورة، إنما هى مجرد اتجاهات أساسية للدوافع كالحاجة إلى الخضوع، والتحصيل، والعدوان، والسيطرة ، والعزلة وغيرها من الحاجات، وهناك اقتراحات أخرى ظهرت فى هذا المجال أيضاً فإلى جانب الغرائز والحوافز والحاجات والقيم، هناك العادات وزملة العوامل والمكونات الشخصية والأنماط والأبعاد والسمات، وقد يفضل واحد أو أكثر من الباحثين أحد هذه الأنواع من الوحدات وشرع فى وضع تعريفاته وتصنيفاته الفرعية لها[1].

(١) سيكولوجية الشخصية: سابق

أما نظريات الأنماط ذات الأهمية فى دراسة الشخصية فهى: النظريات التكوينية وتضم: نظرية «كرتشمر» الذى وضع أنماطا ثلاثة رئيسية للتكوين الجسمى هى: النمط البدين، والنمط النحيل، والنمط الرياضى، ونظرية الأنماط المرفولوجية لـ«نكارتى»، ونظرية الأنماط التكوينية لـ«شيلدون»، ثم نظريات الأنماط السيكولوجية، وتضم: نظرية أنماط «الميول المشتركة» لـ«سبرانجر» الذى افترض وجود ستة أنماط مجردة من الشخصيات. وقد أقام تقسيمه على أسس إحساسها الذاتى بالقيم، وهذه الأنماط الستة هى: النظرية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

وكذلك نظرية الأنماط السيكولوجية عند «يونج» التى تذهب فكرته عن الأنماط السيكولوجية إلى أن الشخصية تتحرك فى اتجاهين مختلفين هما الانطواء والانبساط، وقد كشف البحث السيكولوجى الحديث عن وجود نمط ثالث هو النمط «المتعادل»، وقد ذهب «يونج» أيضاً إلى القول بوجود وظائف أربع أساسية نستخدمها فى توجيه أنفسنا فى العالم وهى: الالهام والأحساس والوجدان والتفكير، وفى ضوء هذه الوظائف قسم «يونج» الناس إلى أصناف أربعة يمكن تقسيمها على ثمانية أنماط هى:

النمط الانبساطى المفكر، النمط الانطوائى المفكر، النمط الانبساطى الوجدانى، النمط الانطوائى الوجداتى،

النمط الانبساطى الحسى، النمط الانطوائى الحسى، النمط الانبساطى الإلهامى ، النمط الانطوائى الإلهامى، وتأتى بعد ذلك نظرية الانماط عند «إيزنك».

وبعد نظريات الأنماط فى الأهمية تأتى «المثيرو الاستجابة» التى ظهرت كنتيجة لبحث علماء النفس السلوكيين فى مشاكل التعليم، وحسب هذه النظرية ليست هناك سمات عامة للشخصية إطلاقا ، إنما السمات تمثل السلوك الذى يستمد بواعثه من المواقف المثيرة الخاصة وأن سمات الشخصية هى مجرد تجميعات خاصة للسلوك بطرق خاصة مميزة، وقد سميت هذه المدرسة أيضاً ونظريتها باسم النظرية المضادة للسمات، والنظرية النوعية فى الشخصية، ونظرية العادات النوعية.

وفى مقابل النظرية النوعية لمدرسة «المثيرو الاستجابة» تأتى «نظرية السمات» التى تعتمد على مفهوم السمة كمفهوم من المفاهيم العامة والمهمة فى نظرية الشخصية، وقد عرف «ألبورت» السمة بقوله «إنها نظام نفسى عصبى مركزى عام (يختص بالفرد) يعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفيا، كما يعمل على إصدار وتوجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفى والتعبيرى».

أما «رايموند كاتل» فقد عرف السمة بأنها: «مجموعة ردود الأفعال والاستجابات التى يربطها نوع من الوحدة التى

تسمح لهذه الاستجابات أن توضع تحت اسم واحد ومعالجتها بالطريقة نفسها فى معظم الأحوال»، وقد وضح «ألبورت» معايير ثمانية لتحديد السمة هى:

١ - أن للسمة أكثر من وجود إسمى (بمعنى أنها عادات على المستوى الأكثر تعقيداً).

٢ - أن السمة أكثر عمومية من العادة (عادتان أو أكثر منتظمتان وتتسقان معا لتكوين سمة).

٣ - السمة دينامية (بمعنى أنها تقوم بدور دافعى لكل سلوك).

٤ - أن وجود السمة يمكن أن يتحدد تجريبيا أو إحصائياً (وهذا ما يتضح من الاستجابات المتكررة للفرد فى المواقف المختلفة أو فى المعالجة الإحصائية على نحو ما نجد فى الدراسات المعاملية عند «إيزنك وكاتل» وغيرهما).

٥ - السمات ليست مستقلة بعضها عن بعض (لكنها عادة ترتبط فيما بينها ارتباطاً موجباً).

٦ - أن سمة الشخصية إذا نظر إليها سيكولوجيا قد لا تكون لها الدلالة الخلقية نفسها التى للسمة (فهى قد تتفق أو لا تتفق المفهوم الاجتماعى المتعارف عليه لهذه السمة).

٧ - أن الأفعال والعادات غير المتسقة مع سمة ما، ليست دليلا على عدم وجود هذه السمة (فقد تظهر سمات متناقضة أحيانا لدى الفرد على نحو ما نجد فى سمتى النظافة والإهمال).

٨ - أن سمة قد ينظر إليها فى ضوء الشخصية التى تحتويها أو فى ضوء توزيعها بالنسبة للمجموع العام من الناس (أى أن السمات إما أن تكون فريدة أو ما اسماها ألبورت باسم «الاستعدادات الشخصية» أو قد تكون عامة ومشتركة بين الناس.

وبعد نظرية السمات تأتى نظرية التحليل العاملى وهى نظرية تفترض أن الوحدات الأساسية للشخصية هى تلك العوامل التى يكشف عنها قليل مصفوفة معاملات الارتباط التى نحصل عليها أساسا من تطبيق اختبارات الشخصية أو الاستفتاءات وغيرها، والهدف الأساسى للتحليل العاملى هو الكشف عن العوامل المشتركة التى تؤثر فى أى عدد من الظواهر المختلفة، وينتهى إلى تلخيص المظاهر المتعددة التى يحللها ، إلى عدد قليل من العوامل.

ولقد أجريت المئات من الدراسات العاملية حول متغيرات الشخصية المتعددة، ولما كان عدد المتغيرات الممكنة كبيراً جداً،

فمن الطبيعى أن يقتصر الباحث فى دراسته للعوامل على منطقة واحدة داخل المجال الكلى للشخصية، فمثلاً «جليفورد» و«زمرمان» بدءا بـ ٧٠ متغيرا فى مجال «المزاج» وقد انتهيا إلى القول بوجود ١٣ عاملا تشمل هذا المجال كله، ويمكن تقدير كل فرد بالنسبة لها، وهذه العوامل هى: النشاط العام، والسيطرة، والذكورة ضد الأنوثة، والثقة ضد الشعور بالنقص، والهدوء ضد العصبية والتوتر، والميل الاجتماعى، والتأمل، والاكتئاب، والانفعالية، والضغوط، والموضوعية، والتقبل، والتعاون، والتسامح.

وفى مجالات الاهتمامات الإنسانية، قام بعض الباحثين باستخدام مقياس مكون من ألف عبارة تقيس أنواعاً كثيرة من الاهتمامات، وبعد تحليل مصفوفة معاملات الارتباط إلى عواملها، أمكنهم إستخراج ١٨ عاملا هى: الميل الميكانيكى، الميلى العلمى، المخاطرة، السعادة الاجتماعية، التقدير الجمالى، الحاجة إلى التشكل والتنوع، الحاجة إلى الانتباه، الميل للعمل، الاهتمام بألوان النشاط الخارجية، الحافز المادى، الدقة، التفكير، النظام، التطابق الثقافى، الميل الكتابى. العدوان، الميل الاجتماعى.

وهذه القائمة لم تشمل بالطبع جميع الاهتمامات

المحتملة، لكن فى المقابل هناك مجالات طموحة لتغطية جميع مجالات الشخصية، منها محاولات «رايموند كاتل» الذى كان يهدف إلى تحديد السمات، وقد بدأ عمله بالقائمة المطولة التى وضعها «ألبورت» وتشمل ٧٩٥٣ اسما، وقد اختصر هذه القائمة بالتحليل العاملى إلى ١٦٠ اسما، ثم أضاف إليها ١١ اسما فأصبح المجموع ١٧١ اسما للسمة، ثم اختصر هذه القائمة مرة أخرى - بعد ذلك - إلى عدد قليل من السمات.

وقد كشفت دراسات «كاتل» عن وجود نوعين كبيرين من السمات هما: السمات المركزية والسمات الظاهرية أو السطحية، والسمات الظاهرية هى تجمعات الظواهر أو الأحداث السلوكية التى يمكن ملاحظتها، وهى أقل ثباتا، كما أنها مجرد وصفية، ومن ثمة فهى أقل أهمية من وجهة نظر «كاتل» ومن ناحية أخرى، هناك السمات المركزية وهى فى نظرية التأثيرات الحقيقية التى تساعد على تحديد وتغيير السلوك الإنسانى، فالسمات المركزية هى التأثيرات الكافية التى تساعد على تحديد السمات الظاهرية.

والسمات المركزية ثابتة وذات أهمية بالغة وهى المادة الكبرى الأساسية التى تقوم عليها دراسة الشخصية فى علم النفس، وقد كشف «كاتل» عن عدد من السمات المركزية: (من ١٦ - ٢٠) سمة منها:

رمز السمة		اسم السمة
A الشينروثيميا	ضد	السيكلوثيميا
B الذكاء العام	ضد	الضعف العقلى
C الثبات الانفعالى أو قوة الأنا	ضد	عدم الاتزان الانفعالى
E السيطرة	ضد	الخضوع
F الانبساط	ضد	الاكتئاب والانقباض
G قوة الأنا الأعلى	ضد	نقص المعايير الداخلية أو الافتقار لها
H المغامرة	ضد	الجبن
I الطراوة	ضد	صلابة العودة
L الميل إلى الارتياب	ضد	التقبل
M رومانتيكى (مزاج اجترارى)	ضد	واقعى
N الدهاء	ضد	السذاجة
O الاستهداف للذنب	ضد	الثقة الكاملة بالنفس
Q1 التحرر	ضد	المحافظة
Q2 قوة الاكتفاء الذاتى	ضد	الافتقار إلى التصرف الذاتى
Q3 قوة اعتبار الذات	ضد	ضعف اعتبار الذات
Q4 قوة توتر الطاقة الحيوية	ضد	ضعف توتر الطاقة الحيوية

لقد تمكنت الدراسات الحديثة بفضل التحليلات الإحصائية والعاملية من تحديد الكثير من الأبعاد الرئيسية للشخصية، وأهمها بعدى: الإنطواء - الانبساط، والاتزان - عدم الاتزان، على أن أهم النظريات العاملية هى: نظرية «كاتل» ونظرية «ايزنك» (١).

بالإضافة إلى كل ما سبق، هناك أيضاً مدرسة التحليل النفسى ورائدها «فرويد»، وهناك الاتجاه الإنسانى فى علم النفس، وأيضاً الاتجاه الوجودى وقد أضاف كلا منهما الكثير فى مجال دراسة الشخصية.

أما «فرويد» فقد أوضح الكثير من خصائص الشخصية، وقد ربط بين هذه الخصائص وبين مراحل النمو التى قسمها إلى: المرحلة الفميَة، والمرحلة الشرجية، والمرحلة البولية، والمرحلة القضيبية، والمرحلة التناسلية، فخصائص الشخصية فى المرحلة الأولى تتميز بالسلوك الفمى، والسلبية، والسذاجة، وقد تكون على النقيض من ذلك، وخصائص الشخصية فى المرحلة الشرجية هى: النظام، والبخل، والعناد، والعكس، أما المرحلة البولية فخصائص الشخصية فيها تتحصر فى: الطموح أو العكس، كما تتحصر خصائص الشخصية فى المرحلة القضيبية فى: الغرور، والتهور، أو العكس، وأخيرا

«١» سيكولوجية الشخصية: سابق

تنحصر خصائص الشخصية فى المرحلة القضيبية فى: الصدق مع الآخرين، والإزاحة الفعالة أو سمو الدافع الجنسى والمتعة الواقعية، وقد أدخل فرويد الكثير من المفاهيم فى علم النفس التحليلى مثل: الدوافع الجنسية، والنكوص، والتثبيت وغيرها.

وتطبيقات التحليل الفرويدى أشهر من أن تذكر، خاصة فى ميدان «تفسير الأحلام» وقد حصر فرويد نمو الشخصية فى السنوات الأربع أو الخمس الأولى من العمر، مؤكدا أن نمو الأنا الأعلى وتشربنا للمعايير الوالدية يرجع إلى هذه المرحلة من العمر التى نقضيها فى اعتماد كامل على الوالدين، كما أكد أن صراعات مرحلة الطفولة تظهر آثارها - فيما بعد - فى مرحلة الرشد، وبعض هذه الصراعات يرجع إلى الأنشطة الجنسية المكبوتة منذ الطفولة[1] أما تكوين الشخصية عند «فرويد» فهو: الأنا، والهى، والأنا الأعلى، إضافة إلى الليبيدو (الطاقة النفسية) الذي يحرك كل الأنشطة العقلية، فالأنا هى الجانب الشعورى أو الذات الشعورية..

أما الجانب اللاشعورى فهو «الحى»، أما الأنا الأعلى فهو الرقيب أو الضمير ويمثل سلطة الوالدين أو السلطة الضابطة فإذا حدث «الكبت» للرغبات والحاجات والغرائز يكون مصحوبا بخبرات مؤلمة أو غير سارة وعندئذ يكوّن «العقد النفسية»

«١» نظريات الشخصية: محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء ١٩٩٨.

وتظل هذه العقد كامنة فى اللاشعور حتى تفصح عن نفسها فى مناسبة أو أخرى، ومن العقد المعروفة المنتشرة «عقدة النقص» وسببها إحساس الفرد بنقص فيه أو شعوره لقلته وذلك من تكرار التعريض به والإهانة له فيكبت شعوره هذا وينحدر هذا الإحساس إلى اللاشعور فينتهى الأمر بصاحبه إلى الاستكانة أو إلى المفاخرة والتعاظم للتغطية، أو إلى التجبر والطغيان للانتقام.

ويمكن تلخيص الأسباب التى تعمل على تكوين مركب الشعور بالنقص فيما يلى.

١ - أسباب جسمية: كالعمى أو العور أو العرج أو فقد إحدى الذراعين أو الساقين أو النحافة الشديدة أو الضخامة الشديدة أو القصر الشديد أو الطول أو الصمم أو التهتهة أو الثأثأة أو الفأفأة، إلى غير ذلك.

٢ - أسباب عقلية: كالبله أو التأخر الدراسى أو سهولة التأثر أو قلة المعلومات أو الجهل أو الغباء أو عدم التعلم، إلخ.

٣ - أسباب اجتماعية: مثل كون الفرد غير بارز بين زملائه أو كونه غير محبوب أو غير محترم من الناس أو غير نافع لمن حوله أو أنه لا تبقى معه زوجه لشراسته أو غطرسته أو أنه ليس له صديق أو ولد ويعيش مع من له ولد، أو أنه لا مال له ويعيش مع من عندهم مال، إلخ.

والواقع أنه كثيرا ما تكون هذه الأسباب الثلاثة متداخلة فى بعضها البعض فأسباب النقص الجسمى قد تسبب نقصاً عقلياً وهذا النقص العقلى والجسمى معاً يؤديان إلى نتائج اجتماعية، وكثيراً أيضاً ما يكون مركب النقص هذا لأسباب غير ظاهرة ربما لأن الإنسان كان يضع نفسه فى مستوى معيّن ولكونه وصل إلى مستوى أقل منه فهو لا يرضى عن نفسه ويحس بمركب النقص من جــزاء ذلك، كــأن تحس البنت المتوسطة الجمال بنقص جمالها نظرا للمستوى العالى الذى كانت تريده لنفسها ويحس الطالب الناجح بتقدير جيد بنقصه نظرا لأنه كان يريد تقديراً ممتازاً.

ومن أجل ذلك نجد كثيراً من الناس يمتنعون عن القيام بأعمال ما مخافة أن لا يصلوا إلى المستوى اللائق بهم والذى يقدرونه هم لأنفسهم، كذلك فقد يتولد الشعور بالنقص من دوام إعتماد الطفل على والديه اللذين كثيرا ما يظهران القلق عليه فى مناسبة أو غير مناسبة باعتباره الطفل الأول مثلا أو الطفل الوحيد أو إظهار العطف عليه على شكل يجاوز المنتظر، وقد يكون منشأ هذه العقد فقدان عطف الأب أو الأم بسبب زواج الأب من غير أمه أو زواج أمه من غير أبيه.

وللشعور بالنقص علاقة كبيرة بتكوين أسلوب الحياة،

والشخصية، فالشخص الذى يشعر بنقص ما قد يحاول أن يعوض عن نواحى نقصه تعويضاً مشروعاً فينجح فى ذلك التعويض عن طريق بروزه فى نواح أخرى، وأكبر مثل لذلك هو «روزفلت» رئيس الجمهورية الأمريكية الذى كان يستعمل رجلا صناعية ومع ذلك استطاع أن يكون ماهراً فى ركوب الخيل ولعب التنس كما انتخب أكثر من مرة رئيساً للجمهورية الأمريكية، ومن الأمثلة الأخرى البارزة «بيتهوفن» الذى استطاع أن ينتج أوسع القطع الموسيقية العالمية انتشاراً رغم ما كان يحس به من صمم جزئى، وكذلك «ديموستين» الذى كان يتهته وهو صغير ومع ذلك أصبح وهو كبير خطيب من أشهر خطباء الدنيا المعروفين.

ومن أساليب التعويض الأخرى أساليب التعويض الانحرافية التى لا يبررها المجتمع ولا العرف ولا التقليد، ويسمى هذا النوع من التعويض Over compensation أى التعويض الذى يجاوز الحد، كأن يتعالى ويتكبر ولا يخضع للقانون أو النظام أو يركب سيارة فخمة ترهق ماليته أو يسكن منزلا لا يتلاءم ودخله الشهرى، أو هو يتجه إلى التعويض بالناس فينقدهم قبل أن ينقدوه ويسخر بهم حتى ولو لم يسخروا منه ويتندر على أقوالهم وأفعالهم وأملاكهم وقد يلجئة شعوره بنقصه إلى السخط والتحكم فى الناس وإظهاره قوته

وسلطته وسطوته، ومن هذا جاء المثل القائل: «كل ذى عاهة جبار».

ولعل أكثر الكذب الإدعائى يرجع إلى مركب الشعور بالنقص فمفاخرة الطفل أمام أقرانه بمركز أبيه وسطوته وقوته وسلطانه فى بلدته وإن لم يكن له مركز أو سطوة أو قوة أو سلطان وحديثه على أملاكه وإن لم يكن له منها شىء وحديثه عما عنده من لعب وملابس وإن لم يكن عنده منها نصيب، كل ذلك مرجعه إلى مركب النقص الذى يحس به، وقد تلازم الطفل صفة الكذب الإدعائى إذا ما كبر فيبالغ فى ثمن حذائه أو بدلته أو كتبه وممتلكاته.

وإذا ما فشل شخص ما فى الحصول على تعويض ناجح مشروع أو تعويض غير مشروع تعتريه أمراض عصبية نفسية لا شعورية وهى المسماة بالحيل المرضية الدفاعية الهروبية وبذلك يصبح الشخص نهبا للأمراض التى لا ترجع إلى أسباب عضوية مثل ما يصيب الفاشلين فى أعمالهم من صداع أو آلام روماتيزمية تغنى صاحبها عن لوم نفسه أو لوم الناس له وتجعله لا ينفك يردد: «بس لو ماكنش الصداع ده، أو الروماتيزم ده، كنت عملت وخليت وسويت»، وهكذا يبعث المريض فى نفسه العزاء والسلوى والرضا بالواقع ويكتسب عطف الناس عليه.

ومن العقد المنتشرة المعروفة أيضاً والتى لها أثرها المهم فى الشخصية عقدة الأب، وأساسها ما قد يشعر به الطفل من قسوة الأب وصرامته فيكبت الرغبة فى التمرد على الأب فى اللاشعور، وقد تنحدر هذه الرغبة من اللاشعور وترتد إلى نفس الطفل فينقم عليها ويزهد فى الحياة، أو تمتد إلى المحيطين به فيسفه أحلامهم ويسخف آراءهم أو يكره المحيطين به أو يتمرد على القانون ويخرج على النظام ولا يطيع أية سلطة تقف فى سبيله.

وعكس هذه العقد عقدة الأم وسببها تدليل الأم للطفل فينشأ رخوا طرياً، أو قد يحاول الطفل إذا ما شعر بأن الناس قد أحسوا برخاوته أن يقسو ويشتد ولا يرحم إنسانا أو يشفق على أحد.

ومن العقد أيضاً عقدة «أوديب»، وتتميز بحب الولد لأمه وكراهيته لأبيه، وعكسها عقدة «إليكترا» وهى حب الولد لأبيه وكراهيته لأمه، فهذه أمثلة للعقد النفسية، ولعلك تلحظ الشبه بينها وبين «العاطفة»، على أن كلا من العاطفة والعقد يؤثر فى السلوك البشرى وتوجيهه، وبالتالى فى الشخصية، ولكن هناك فرقا بين العقدة والعاطفة يدفعنا إلى التمييز بينهما:

فالعقد تنشأ من صراع نفسى بين نزعتين ينتهى بتغليب

إحداهما والإفصاح عنها فى الحياة الشعورية وانحدار الأخرى إلى اللاشعور وتبقى هناك متحينة الفرصة للخروج من هناك والإفصاح عن نفسها ولا تأتى هذه الفرصة إلا عند حدوث موقف شبيه بالموقف الذى كونها وكان السبب فى وجودها.

أما العاطفة فهى شعورية، مكانها الشعور، وهى دائمة التأثير فى سلوك الفرد، وهى قد تزداد وتقوى وتعنف أو قد تقل وتضعف وتفنى أو قد تتغير أو تتبدل بغيرها، فيجوز أن تتبدل عاطفة الحب الشديد لشخص ما إلى عاطفة الكره الشديد للشخص نفسه كما يحدث مثلا فى حالة الصديقين الذى يخون أحدهما الآخر.

ومن الفروق أيضاً أن العقد النفسية تسبب انحرافاً للسلوك، فهى ثائرة على عناصر الشخصية، أما العاطفة فلا تسبب انحرافا فى السلوك؛ وإنما تسير فى توافق مع مقومات الشخصية (١).

وأهم ما يجب أن نذكره عن التحليل النفسى، بعد ذلك، هو ما بينه من أن مراحل التطور الجنسى التى مر بها الفرد طفلا هى التى تحدد طبعه راشداً، وعلى هذا الأساس ميز «فرويد» بين خمسة نماذج طبعية «نفسية» هى: النموذج

«١» أسس التربية وعلم النفس: سابق

الشبقى، والنموذج الحواذى، والنموذج النرجسى، والنموذج النرجسى الحواذى، والنموذج الشبقى الحواذى.

ومن التصانيف التى من هذا القبيل أيضاً تصنيف «جوليت بوتونييه» المستلهم من التحليل النفسى، والذى يميز بين ثلاث طوائف من نماذج «خلل الإرادة»، وهذه الطوائف هى: طائفة المكبوتين، وتضم نماذج شخصية: المثالى، المنطقى، والمتشائم، السجين الإرادى، الساخر، عدو الزمن، وطائفة المقبطين، وتضم نماذج شخصية: المفتون بالإرادة، الخيالى الواهم، المتقلب، عبد الإرادة، وطائفة المرتبطين، وتضم نماذج شخصية: الخاضع، المتمرد، المتمرد الكلامى، المجبر على العمل.

ومن الواضح بعد ذلك، أنه يمكننا تقسيم المراحل التى مر بها تطور علم النفس إلى: مرحلة تجريدية ومرحلة تمثل المرحلة الحديثة فالمرحلة التجريبية هى التى تلت الرؤية العامة للإنسان، وقد بدأ هذا الاتجاه مع إهتمام «وليم فونت» - «١٨٣٢ - ١٩٢٠» بتحليل الخبرة الذاتية للإنسان «الفرد» إلى عناصرها الأساسية، ومن أمثلة هذه الخبرات: الاستثارة أو الهدوء، السرور أو الكدر، الشدة أو الاسترخاء، إلخ.

ومن علماء المدرسة التجريبية «جيمس ماكلين كاتيل»

(١٨٦٠ - ١٩٤٤) الذى اهتم بدراســـة السلوك وزمن الرجع الممتد بين المثير والاستجابة ، ومنهم أيضاً: هيرمان ابنجهاوس» (١٨٥٠ - ١٩٠٩) الذى اهتم بدراسة العمليات العليا العقلية كالتذكر، وكذلك «إيفان بافلوف»: (١٨٤٩ - ١٩٣٦) الذى اهتم بدراسة الاستجابة الشرطية. يليه «ثورنديك»: (١٨٧٤ - ١٩٤٩) الذى اهتم بدراسة التفكير والاستدلال.

أما المرحلة الثانية فتعرف بمرحلة علم النفس الحديث وتشمل عدة مدارس ، أهمها:

- مدرسة الجشطلت فى ألمانيا (فرتهايمر - كوفكا - كوهلر) ويتركز فضل هذه المدرسة فى اكتشافها القوانين الأساسية فى الإدراك مثل: قانون ثبات الإدراك، وقانون التنظيم الإدراكى، وقانون الخداع الإدراكى، بالإضافة إلى نظريتها الخاصة فى التعلم والاستبصار.

- المدرسة الوظيفية فى أمريكا: (وليم جيمس - جون ديوى وغيرهما)، ولهذه المدرسة فضل دراسة العقل من حيث مكوناته وعناصره، إنما من حيث وظائفه.

- المدرسة السلوكية: (جون واطسون).

- مدرسة الفروق الفردية: (الفريد بيينه - ترمان).

- مدرسة التحليل النفسى: (فرويد).

وقد طرح «جاك لاكان» بعد ذلك مفهوم «الذات» وتحدث عن مرحلة المرآة (سن ٦ - ١٨ شهرا) كمفهوم محورى يصف بداية «تأسيس الذات». ويعتبر« لاكان»: (١٩٠١ - ١٩٨١) من أهم رواد الحركة النفسية الجديدة بعد «فرويد» لأنه مهد بأفكاره لاتجاهات علم النفس الإنسانى وعلم النفس الوجودى، وإن كان رواد علم النفس الإنسانى وعلم النفس الوجودى قد تجاوز كل منهما أفكار «فرويد» و«لاكان» نفسه [1].

ولذلك يجدر بنا أن نستعرض أفكار هؤلاء الرواد فى فصل مستقل نخصص له الصفحات التالية.

«١» الشذوذ النفسى: عاطف عمارة، المكتبة السيكولوجية هلا بوك شوب ١٩٩٦

الفصل الثانى:
السيكولوجيا الإنسانية

- نظرية الذات
- الإتجاه الإنسانى فى علم النفس
- علم النفس الوجودى

نظرية الذات

تطورت نظريات التحليل النفسى بعد «فرويد» على يد آخرين، لم يوافقوا «فرويد» فى كل آرائه، فقرر «الفريد أدلر»: (١٨٧٠ - ١٩٣٧) أن الاحساس بالنقص فى أية ناحية أثناء الطفولة يحدد نوع الشخصية الراشدة، ثم رأى «أوتورانك»: (١٨٨٤ - ١٩٣٩) أن الشخصية مبنية على نوعين من المحددات: فمخاوف الحياة، ومخاوف الموت، فمخاوف الحياة تظهر عندما يشعر المرء بأن استقلاله الفردى يعزله عن المجتمع، ومخاوف الموت تعنى خوف المرء من فقد فرديته بانقياده للكل، وتعتبر نظرية «رانك» عن صدمة الميلاد رأيا معبراً عن صورتى الخوف.

أما «هارى ستاك سوليفان»: (١٨٩٢ - ١٩٤٩) فتدور أفكاره حول خضوع السلوك لمؤثرات البيئة الحالية، أى وقائع الآن وهو يخرج عن منطق فرويد عندما يرى أن «الأنا» يتحاشى القلق كمحاولة دائمة لتحقيق توازن الفرد، لأن فرويد أكد أن الأنا يوقع الفرد فى مآزقه عندما يحاول أن يجارى الواقع أو عندما يحل مشاكل الصراع بين «الهو» وبين «الضمير».

ثم عارضت كارين هورنى: «١٨٨٥ - ١٩٥٢) رأى «فرويد»

فى لاشعورية الإحساسات والتفكير، كما رفضت نظرية «الليبيدو»: «مبدأ اللذة» كعامل أساسى فى تحديد أنماط السلوك، وسمت السبب المؤدى إلى الأزمات النفسية «القلق الأساسى» ورأت أن للفرد استعدادات أساسية وقائية ضد هذا القلق، منها: السعى من أجل القوة أو المركز، أو الضعف أو الانسحاب أو الخضوع» (١).

وأخيراً رأى «إريك فروم»: (١٩٠٠ - ١٩٧٩) أن المجتمع هو المسئول عن بناء الشخصية بكل مزاياها وعيوبها، فالفرد يولد ومعه عدد من الدوافع الحيوية كالجوع والعطش والجنس، والأفراد يختلفون فى النوع أصلاً لأن بينهم الشهوانى والعف والمحب والكاره، إلخ، وتقع هذه الدوافع وهؤلاء الأفراد فى مجال اجتماعى له متطلباته، فينتهى كل فرد إلى واحدة من أنواع الشخصية الماذوكية الأدبية، السادية، المخربة، الموالية، المعتمدة، إلخ.

أما «كارل روجرز» فيرى أن المنظم الأساسى للشخصية هو «الذات» وهذه الذات هى حاصل جمع الخبرات التى مرّ بها الفرد، ولكن هذه الذات ليست ديناميكية كما وردت فى نظريات التحليل النفسى، لأنها لا تتعرض للشد والجذب بين أطراف الدوافع الداخلية والواقع الخارجى، لقد رأى «روجرز»

«١» الشخصية المثالية: عاطف عمارة، هلا بوك شوب ١٩٩٦

أن : الفرد ذاته هو المسئول عن التغيرات التى تطرأ على شخصيته، (أى: سلوكه)، فهو الذى يسعى إلى التحسين أو الاستقلال أو غيرهما من التغيرات، سواء جيدة أو سيئة، وهو بذلك يؤكد أهمية العمليات الشعورية بالنسبة للشخصية، ويعتبر العمليات اللاشعورية مسئولاً صغيراً جداً بالنسبة للسلوك.

ويرتبط اسم «روجرز»: (١٩٠٢ - ١٩٨٧) بالاتجاه الإنسانى فى علم النفس، أو بما يعرف باسم علم النفس الإنسانى، مع «إبراهام ماسلو»: (١٩٠٨ - ١٩٧٠)، وهذا الاتجاه يعارض مدرسة التحليل النفسى بنظرتها التشاؤمية ويفسرها كل سلوك البشر بالجنس والعدوان، كما يعارض المدرسة السلوكية بنظرتها إلى الإنسان كآلة، وترتبط نظرية روجرز أيضاً بالاتجاه الوجودى فى علم النفس لأنها تعتمد على الجوانب الظاهرية phenomenologica حيث يركز على خبرات الأفراد ومشاعرهم وقيمهم، ونظرا لأهمية هذا الاتجاه سنحاول التعرف على الشخصية فى إطاره.

طبيعة الشخصية:

يتفق «روجرز» مع «كيلى» فى ازدرائه ونفوره من مصطلح الاستعلاء لأدلر، وفى تصوره للمعالج النفسى ذى البصيرة النافذة أو العالم بالغيب الذى يعتمد عليه المريض بصورة سلبية فى التفسيرات المهمة، وبدلا من ذلك فقد أكد على أنه

بأمكاننا - وبأنفسنا فقط - أن نتعرف ونختار اتجاهاتنا الصحيحة فى الحياة[1] وتمشياً مع اعتقاده هذا فقد قام «روجرز» بتسمية مدخله العلاجى فى البداية بالعلاج المتمركز حول العميل، لكن نظرا لاتساع أفكاره بعد ذلك لتشمل الجوانب غير الإكلينيكية للمريض مثل: الوالدية، والتربية، والعلاقات الشخصية، والعراقية فقد أطلق عليه مسمى أكثر اتساعا هو: العلاج المتمركز حول الشخص.

وعلى حد تعبير «روجرز» فالإنسان يستحث أو يندفع من خلال قوة إيجابية واحدة، وهى الميل المطرى أو الطبيعى لتنمية قدراتنا البنائية، والنمو بطرق أو أساليب تحافظ على أو تعزز النظام الكلى له، فيقول: «لدىّ القليل من التعاطف مع المفهوم السائد والقائل بأن الإنسان لاعقلانى بصورة أساسية، وأن اندفاعاته سوف تؤدى به إلى تدمير ذاته والآخرين إذا لم يتم التحكم فيها.

فى الحقيقة أن السلوك الإنسانى عقلانى ومتقن ويتحرك بمهارة وتعقيد تجاه أهداف يسعى إليها الكائن العضوى ويحاول تحقيقها، فالأشخاص لديهم توجه إيجابى أصلاً».

مثل هذه الإتجاهات والميول المتأصلة لدى الكائن العضو «لتحقيق» إمكاناته الكامنة والداخلية تتضمن كل من:

«١» نظريات الشخصية: د. محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء ١٩٩٨

١ - خفض دوافع محددة كالجوع والعطش والجنس، ونقص الأكسجين.

٢ - الرغبة فى زيادة المتعة والسيطرة أو التحكم فى البيئة، ويتضمن ذلك توجيه مظاهر النمو فى سبيل «تحقيق الذات»، والتمايز ونمو المكونات العضوية للكائن وزيادة كفاءتها الوظيفية والتكاثر، والقدرة على الإبداع، والفضول أو حب الإستطلاع، والاستعداد لتحمل الألم لأن ذلك سيعلمنا أن نكون أكثر فاعلية واستقلالية، وفى ذلك يقول «روجرز»: «أن أول خطوة يتعلمها الطفل وهو فى سبيله لتعلم المشى تتضمن الكفاح وعادة بعض الألم فى سبيل ذلك، والمكافأة المباشرة التى تقدم له عندما يأخذ خطوات محدودة لا تتناسب وما يواجهه من آلام السقوط المتكرر والصدمات الشديدة، ورغم ذلك يبقى التوجه لتحقيق تقدم فى النمو أكثر قوة من الرغبة فى البقاء فى عداد الطفولة، فالطفل سوف يسعى لتحقيق ذاته على الرغم من التجارب المؤلمة التى يمر بها».

فكرة «التحقيق» إذن من الأفكار الجوهرية المهمة فى نظرية «روجرز»، ورغم كل شىء فإن التفاؤل النظرى «لروجرز» لم يمنعه من الاعتراف بوجود قدرة كبيرة لدينا لممارسة سلوك مدمر ووحشى وقاس، ولكنه يرجع ذلك إلى قوة خارجية أكثر

مما يرجعها إلى قوى داخلية فطرية، فأغلب المستويات الأساسية فى الشخصية تكون إيجابية بشكل فطرى، وأن الميل إلى «تحقيق الذات» سيؤدى فى الظروف الطبيعية فقط إلى إنتقاء وتطوير الجهود التكوينية ويعبر «روجرز» عن ذلك بقوله: «لا يميل الكائن الحى لتنمية قدراته إزاء شىء منفر أو يثير اشمئزازه، وعادة لا يستغل امكاناته لتحطيم ذاته أو قدرته أو طاقته على تحمل الألم.

وهكذا فمن الواضح أن الميول التى يرغب فى تحقيقها هى ميول مختارة وموجهة وبناءة، على الرغم من وجود مخاطر كثيرة على طريق تحقيقها، وتحت ظروف غير مناسبة (وإن لم تكن شائعة) يمكن كثيراً أن نتصرف بأساليب تعطى فكرة خاطئة عن طبيعتنا الخيرة.

الحاجة للتقدير الإيجابى :

توجد لدى كل البشر عامة حاجة ملحة للشعور بالدفء والحب والاحترام والتعاطف والتقبل من الآخرين، وخاصة أؤلئك الذين يمثلون أهمية فى حياتنا كالوالدين، وتبقى هذه الحاجة للتقدير الإيجابى نشطة طوال حياة الفرد، ولكنها تستقل جزئيا عن إتصالات نوعية (أو محددة) بالآخرين، مؤدية إلى حاجة ثانوية متعلمة هى التقدير الإيجابى للذات، ومن

الأهمية بمكان أن ندرك أن السعى الحثيث لإشباع الحاجة القوية للتقدير الإيجابى يمثل العائق الوحيد والخطير فى سبيل «تحقيق الذات».

الغائية :

فى حين يرى «روجرز» أن أحداث وخبرات الطفولة لها تأثير تكوينى قوى وفعال على الشخصية، إلا أنه لا يفضل تبنى مدخلا تاريخيا بشكل أساسى، ففى رأيه أن السلوك لا يحدث بسبب شىء ما تم فى الماضى ولكن التوترات الحالية، والحاجات الراهنة هى الوحيدة التى يحاول الكائن الحى خفضها أو إشباعها.. وهكذا فنظرية «روجرز» نظرية غائية أساساً تؤكد على حاجتنا النشطة وكفاحنا الهادف نحو الإنجاز.

تركيب الشخصية :

طالما أن «التحقيق»: (جعل الشىء واقعياً ومحققاً) يشمل الكائن الحى بأكمله، فإن «روجرز» يرى عدم وجود ضرورة ملحة فى وضع تركيبات بنائية محددة للشخصية، ومع ذلك فإن نظرته فى هذا الشأن غير مقدسة ولم يلتزم بها تمام، فهو يشارك «هورنى» الاعتقاد بأننا جميعاً غالبا ما نتعرض لصراعات نفسية داخلية مؤلمة، فيقول: «إن اللغز المحير الذى

يواجـه أى شـخص على الإطلاق ويتطرق لديناميـات السلوك البشرى هو أن الأشخاص كثيرا ما يكونوا فى حرب مع أنفسهم ومفتريين عن تكوينهم العضوى».

الخبرة وعمليات التقييم العضوية :

يتفق «روجرز» مع «ألبورت وكيلى» أن الشخصية عملية متفردة نسبياً داخل الفـرد، فكل منا يوجد داخل مـركز عالمه الخاص المتغير دائما من الخبرة الداخلية والتى تتضمن كلا من المجال التجريبى experiemtial field والمجال الظاهرى pheno- mental field ولا يستطيع أى شخص آخر ابداً أن يفهمه تماماً.

والخبرة ليست ذاتية فقط ولكنها أيضاً غير معرفية إلى حد كبير، ولذلك يصعب وصفها أو فهمها من خلال الكلمات فـقط، وهى تشـمل كل شىء من المحتـمل توافـره للوعى عند لحظة مـعينة مـثل الأفطار والإدراكات (بما فى ذلك الإدراكات المهملة مؤقتا مثل ضغط المقعدة على الكرسى الذى نجلس عليه)، والحاجات (التى قد يتغاضى الفرد عن بعضها مؤقتا مثلما يحدث عند انغماسه فى العمل أو اللعب) والمشاعر أو العواطف (الأحداث ذات الصفة الانفعالية التى لها أيضاً معنى شخصى مثل «أنا أشعر بالرضا عن نفسى») ومع ذلك فإن جزءاً صغيراً نسبياً من الخبرة فقط هو الذى يعبر عنه فى

الواقع برموز يمكن تحديدها شعورياً، أما الأغلبية الباقية من الخبرة فتتكون من الظواهر التى ندركها على أنها تحت مستوى الوعى، ونسمح لها أن تبقى غير متمثلة برموز («نقص إدراكات» وتماثل الادراكات اللاشعورية فى نظرية يونج) وتأخذ شكلا معرفيا أو إحساسا بديهيا عميقا ويشبه هذا الأمر على النحو التالى: -

«تشبه وظيفة الفرد نافورة كبيرة هرمية الشكل، رأس القمة فى هذه النافورة تومض بشكل متقطع بوميض الشعور، ولكن تيار الحياة المتدفق بشكل ثابت يستمر فى الظلام بأساليب شعورية ولا شعورية على حد سواء.

وتتضمن الجوانب الأولية اللاشعورية للخبرة قدرة فطرية على التقييم الإيجابى لما ندركه على أنه محقق لذاتنا، والتقييم السلبى لكل ما ندركه على أنه ليس محققا لذاتنا. وينتبه الرضيع لعملية تقييم ذاته ككائن عضوى مثلما حدث على سبيل المثال أثناء سعيه للطعام عند شعوره بالجوع وعند تقززه منه وفور إحساسه بالشبع، وعند الاستمتاع، بالاتصال الجسدى المدعم عند احتضانه وعند اختياره لنظام غذائى جيد ومتوازن إذا أعطى الحرية فى تناول ما يشاء، ولذلك فإن الجوانب اللاشعورية للخبرة عند روجرز تمثل إضافة قيمة

وجديرة بالثقة لأفكارنا وخططنا الشعورية، ونحن فقط دون غيرنا - من مصادر خارجية كالوالدين والمعالجين النفسيين - القادرون على تعريف قيمنا العضوية الحقيقية والإحساس بأفضل الطرق لتحقيق أمكانياتنا الخاصة، فيقول «روجرز»: «الخبرة فى رأيى هى السلطة العليا بالنسبة لى، فعندما يبدو نشاط كما لو كان ذو قيمة أو يستحق القيام به فإنى أقوم فعلا، اننى على ثقة أن جميع خبراتى التى تعلمت أن أشك فيها هى أكثر حكمة من ذكائى، أنا متأكد أنها عرضة للخطأ، ولكنى أعتقد أنها أقل عرضة للخطأ من عقلى الواعى بمفرده.

ولا تنفصل خبراتنا كلية عن العالم الخارجى، لأننا (كما ذكر كيلى) ننشد تقييمها عن طريق تكوين واختبار فروض مناسبة، فلو أدرك الفرد مسحوقا أبيض فى طبق صغير على أنه ملح وتحرى هذا الاحتمال بتذوقه فوجد أنه حلو المذاق تتحول هذه الخبرة فوراً لإدراكه على أنه سكر، وكما فى النظريات الأخرى.

يرى «روجرز»، أن الجوانب الذاتية للخبرة أهم جداً من الواقع الفعلى أو الموضوعى، فالرضيع الذى يلتقطه شخص بالغ بطريقة ودودة، ولكن الرضيع يدرك هذا الموقف على أنه غريب ومخيف سوف يستجيب بصرخات الحزن أما الأبنة أو الفتاة التى أدركت أباها فى البداية على أنه مسيطر ومخيف،

ولكنها تعلمت من خلال العلاج النفسى اعتباره شخصا عطوفاً نوعا ما يحاول فى يأس الاحتفاظ بشىء من المكانة والهيبة سوف تخبره على أنه مختلف تمام حتى لو تغير هو نفسه.

مفهوم الذات وتحقيق الذات :

فى تطابق مع الدافع الفطرى لتحقيق الذات يوسع الطفل من مجاله التجريبى بشكل نشط أثناء النمو ويتعلم ادراك ذاته كوحدة مستقلة ومنفصلة بشكل متميز، فمفهوم الذات Self - Concept بهذا الشكل شعورى تماماً، وهكذا تتمثل الخبرة الذاتية جزءاً من قمة النافورة المتدفقة باستمرار، وتصبح بعض الميول لتحقيق الذات الآن موجهة نحو محاولة إدراك أهداف وقدرات يمكن تمثيلها من خلال مفهوم الذات، وهذا الميل المهم يعرف بتحقيق الذات self - actualization وطالما بقى المفهوم الشعورى المكتسب الذى نكونه عن أنفسنا متطابقا أو منسجما مع خبراتنا العضوية الكلية فإن ميولنا لتحقيق الذات تعمل فى تناغم لإشباع قدراتنا الفطرية البناءة، ولسوء الحظ فالأمور نادراً ما تحدث بتلك البساطة، فمع نمو مفهوم الذات وتطوره، فإنه يتطلب دعما فى شكل تقدير إيجابى، ولذلك يجب الاهتمام بالطفل أثناء نموه، ليس فقط عن طريق الخطوط الهادية guidlines الداخلية التى توفرها

عمليات التقييم العضوية، ولكن أيضاً من خلال استجابات ومطالب الآخرين الذين يمثلون أهمية فى حياة الصغير (كالوالدين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة.

وعلى أى حال فمن الأفضل وبكل الاحتمالات الممكنة أن يحاول الآخرون المهمون دائما التعامل مع الطفل بطريقة تنمى لديه مفهوم إيجابى عن ذاته وتقدير إيجابى عن ذاته وتقدير إيجابى غير مشروط، وأن يقصرون انتقاداتهم على سلوكيات غير مرغوبة بصورة محددة، فلو أن فتاة صغيرة تظهر عدائية تجاه أخوها فربما تستجيب الأم بمثالية لهذا الأمر قائلة: «أعرف كيف تشعرين بالرضا عندما تضربين أخيك الرضيع، اننى أحبك وأرغب تماماً فى أن تشعرين بذلك، ولكنى أرغب أيضاً فى أن تشعرين بى فأنا أيضاً أشعر بالإستياء عندما يتألم أخوك، ولذلك فإننى لا أدعك تضربينه، كل من مشاعرى ومشاعرك مهمين، ويمكن أن يكون لكل واحد منا مشاعره الخاصة.

وهكذا فربما تختار الفتاة ألا تضرب أخاها رغبة منها فى إرضاء أمها بدلاً من أن تفعل ذلك لإحساسها بالخجل والذنب من دوافعها العدوانية، ومهما كان قرارها، فإن إحساسها المتزايد بتقدير إيجابى للذات لن يكون محل تهديد وغير مشروط كذلك، وستقبل عدوانيتها بتلقائية كجانب من مفهومها عن ذاتها، الذى سيظل بذلك منسجما مع عمليات

التقييم والخبرة (وهى ضرب أخيها أمر سار) وستظل متوافقة نفسياً بشكل جيدا.

إن تتبع الأحداث الموصوفة سابقا هى مجرد إحتمال مفترض، لأن الأشخاص الآخرين المهمين يستجيبون للطفل على نحو نموذجى وتقدير إيجابى مشروط، أى أنهم يمنحون الحب والاحترام فقط عندما تنال مشاعر الطفل ومفهومه عن ذاته قبولهم واستحسانهم، وهكذا فربما يعبرون بطرق مباشرة أو غير مباشرة على أن الرغبة فى ضرب الأخ الرضيع ستؤدى إلى فقدان حبهم لها، أو أن هذه الطاقة ينبغى أن تولد مشاعر الذنب وعدم السعادة بدلاً من مشاعر الرضا.

وكنتيجة لذلك يواجه الطفل اختيارا صعبا ومؤلما فإما أن يقبل خبرته الداخلية الحقيقية (وهى أن ضرب الأخ الرضيع يجلب السرور) والتى ربما تقابل الاحتمال الصادم فى أن يصبح غير محبوب أو مرغوب فيه، أو أن يخضع للإغراء ويتخلى عن مشاعره الحقيقية ويشوه خبرته بأساليب ستسعد الآخرين (كما يحدث عندما يستنتج أن ضرب الأخ الرضيع أمر بغيض ومرفوض).

ونظرا لأن الحاجة للتقدير الإيجابى قوية جداً فسيختار الطفل فى النهاية أن يتخلى عن مشاعره الحقيقية إلى حد ما، ويدمج معايير الوالدين فى مفهومه عن ذاته (وهى العملية التى

أستعار لها «روجرز» مفهوم «فرويد» الاحتواء أو الاستدماج ويصبح تقديره الإيجابى لذاته مقترنا بتحقيق استدخال شروط القيمة والتى ستحل محل عمليات التقييم العضوية لخطوط هادية ومرشدة للسلوك، وهكذا يصبح مفهوم الذات غير متطابق مع عمومية الخبرة، وينقسم تحقيق الذات، وميول التحقيق إلى فرعين يعملان على نحو متعارض ويجعل الفرد يعانى من حالة من الارتباك والقلق: -

سيكون التعبير الرمزى الدقيق لخبرة الطفلة على النحو التالى: «أنا أدرك أن والدى يخبران هذا السلوك على أنه سلوك فرضى بالنسبة لهم»، وهذا التمثيل الرمزى المشوه، شوهته لتحافظ على مفهومها عن ذاتها كما هو بدون تهديد عندما تقول: «أنا أدرك أن هذا السلوك غير مرضى».

فهذه الطريقة تصبح القيم التى تنسبها الطفلة للخبرة مستقلة عن التوظيف التنظيمى، وتقيم الخبرة على أساس اتجاهات الأشخاص الآخرين ذوى الأهمية، كما تصبح هذه القيم مقبولة لكونها حقيقية مثلها فى ذلك مثل القيم المرتبطة بالخبرة مباشرة، وعلى ما يبدو - يبدأ الفرد هنا طريقاً يصفه فى النهاية بقوله: «أنا لا أعرف نفسى حقا».

وفى عمر لاحق تأخذ جماعات وهيئات إجتماعية عديدة دورها فى تشجيع الارتحال بعيداً عن معرفة الذات، وعلى

سبيل المثال : تشير بعض الأديان إلى أن كل رغبة جنسية إثم وخطيئة، وتعلم بعض المدارس أن تصفح الكتب للمتعة فقط أمر غير مرغوب فيه إطلاقا، فى حين أن التعلم الدقيقُ الصارم لحقائق علمية معينة هى الأمر المرغوب فيه جداً، كما يعتبر الكثيرون من أفراد مجتمعنا أن المال هو أفضل الأمور وغاية المنى إلى الحد الذى يصل بهم أحيانا إلى الغش، وتمطرنا إعلانات الصحف والتليفزيون بادعاءات أن آلاف المنتجات مرغوبة ومهمة لصحتنا، وهكذا يستدخل الكثير منا هذه المعايير الخارجية ويؤمن بها على أنها معاييرهم الخاصة، حتى لو كانت تخالف حاجاتنا وقيمنا الحقيقية.

الدفاع :

أى خبرة مهدِّدة للفرد تذكره بعدم الإنسجام بين مفهوم الذات والخبرة من المحتمل أن تقاوم عن طريق التشويه أو (فى أحيان أقل) باخفائها كلية عن الوعى، وعلى سبيل المثال عند ما ترى الفتاة الصغيرة التى سبق الإشارة إليها أخاها فيما بعد، ربما تقرر أنها لا تشعر بشىء تجاهه سوى الحب، ولا تحلم حتى بمجرد إيذاءه، والطالب الجامعى الذى يتضمن مفهومه عن ذاته إعتقادا قويا بكفاءته الأكاديمية والذى رسب فى اختبار ما، ربما يبرر منطقيا عدم الانسجام مع خبراته

بإرجاع فشله إلى النظام الدراسى غير الملائم، أو الطالب الذى يواجه باختبار مهدد ربما ينسى الوقت أو التاريخ المحدد للاختبار، أو يظهر لديه صداع حاد قبيل الموعد المحدد للإختبار مباشرة، وربما يقاوم حتى هذه المشاعر الإيجابية مثل الحب والنجاح إذا فشلت فى التطابق مع مفهومه عن ذاته، وهكذا ربما يعزو طالب ضعيف المستوى الدرجة المرتفعة التى حصل عليها فى اختبار إلى الحظ أو إلى خطأ ما من المعلم أثناء التصحيح أو رصد الدرجة، وربما ترفض إمرأة لديهما مفهوم سالب تماما عن ذاتها تصديق الآخرين عندما يعتبرونها ذكية أو محل إعجابهم أو محبوبة.

وهناك على الأرجح قدر معين وحتمى من عدم التطابق والدفاع، ولا يدل ذلك بالضرورة على أن هذا الفرد عصابى، ومع ذلك فإن أى تشويه أو إنكار لخبرة ولعمليات التقييم المنظمة لخبرة الكائن العضوى (بما فيها ميكانزم الإدراك) يمثل تكيفا نفسيا أقل من المثالى، وهو انحراف عن ميولنا الأولية السوية: -

وهكذا بسبب الإدراكات المشوهة الناتجة عن شروط القيمة التى تحيد بالفرد عن التكامل الذى يميز حالته أثناء المهد، ومع أنه لا يستطيع بعد ذلك أن يحيا كفرد متكامل، فإن

السلوك يصبح منظم أحيانا بواسطة الذات، وأحيانا أخرى بواسطة خبرات الكائن العضوى غير المتضمنة فى الذات، والشخصية من هنا فصاعداً تصبح مقسمة، والقيام بالعمل على نحو غير كاف وهو ما يصاحبه الافتقار إلى الانسجام، وهذا هو الاغتراب الأساسى فى الإنسان، يجعله غير صادق مع ذاته عند تقييمه لخبراته وذلك بقصد الحفاظ على النظرة الإيجابية مع الآخرين ولذلك فهو يخطئ بعضا من القيم التى خبرها.

نمو الشخصية :

لا يفترض «روجرز» مراحل أو معايير محددة للنمو، ويفضل بدلاً من ذلك التأكيد على أهمية الاستجابة للطفل باعتبار إيجابى غير مشروط ، هذا الاهتمام والانشغال به هو أفضل بداية بمجرد خروجه من الرحم إلى الحياة، ويوصى «روجرز» باستخدام أسلوب «ليبوير» الآمن والهادئ فى ولادة الطفل (الضوء الخافت، السكون، الملاطفة، الغمر فى ماء دافء) وذلك كبديل مفضل عن الطريقة التى تلحق بالطفل (ضوضاء صاخبة، أضواء مزعجة ، صفعات). «الدخول إلى الحياة الجديدة تدريجيا بلمسة حب وإهتمام هو أفضل كثيراً للنمو النفسى للطفل من تعريضه المفاجئ لكل أنواع المثيرات

المفزعة وإرغامة على الدخول لحياة جديدة مخيفة ، فمن الأفضل التخلص من كل صور الصراخ والرعب والتعامل الجاهل مع الطفل كما فى النمط التقليدى، إذ يعتقد «روجرز» أنه مما يستحق الجهد أن نتيح الفرصة للأطفال فى النمو فى مناخ يتوافر فيه الحد الأدنى من الظروف المُرْضية والمشبعة ، مما يمكنهم من السعى بحرية فى طريق تحقيق الذات.

صفات الشخص القائم بوظائفة على أكمل وجه :

لما فعل «ألبورت» فقد صاغ «روجرز» قائمة من محكات الصحة النفسية، تنطبق على الشخص القائم بوظائفه على أكمل وجه وهى:

١ - غياب أى شروط للأهمية: ومن ثمة فهو يستمتع بالاعتبار الإيجابى غير المشروط.

٢ - التطابق الكامل بين الخبرة ومفهوم الذات: وهو ما يحميه من التهديد والقلق، ويحول دون الحاجة للدفاع ويسمح لكل الخبرات بأن يتم التعبير عنها رمزياً فى الوعى.

٣ - الإنفتاح الكامل على الخبرة: فالشخص القائم بوظائفه على أكمل وجه مستعد للقيام بعمليات التقييم العضوية بدلاً من التسويف وإبداء التبريرات للآخرين.

٤ - يعيدون على الفور تصحيح أية اختيارات تقدم حلولا هزيلة لأخطائهم متى تم فهم هذه الأخطاء، فالميل لتحقيق الذات، وتحقيق الواقع يعملان معا فى انسجام لتحقيق قدرات الفرد الكامنة وامكاناته الفطرية، وعلى سبيل المثال فإن الأشخاص ذوى المستوى المرتفع من الابتكارية مثل الجريكو (١٥٤٨ - ١٦١٤) الرسام الإسبانى، وهيمنجواى (١٨٩٩ - ١٩٦١) الروائى الأمريكى، واينشتين (١٨٧٩ - ١٩٥٥) قد علموا بدرجة كبيرة أن أعمالهم وأفكارهم لها درجة كبيرة من الخصوصية.

٥ - يقبلون ما هو غير موجه عن المعايير ويخفون مشاعرهم الحقيقية خلف مظهر كاذب مقبول إجتماعيا، كما تعد المهام الصعبة ضرورة لتحقيق الفهم الحقيقى المتعمق لأنفسهم، وكما قال الجريكو: الفنانين العظماء لا يرسمون مثل هذه، ولكن أرسمها «وليست هذه فقط حقيقة الفنانين أو العباقرة فكل منا قادر على الحياة والانسجام مع قيمة الداخلية والتعبير عن ذاته بطرق منفردة ومُرضية.

٦ - يشعرون بالأهمية أنهم محبوبين من الآخرين وقادرون على أن يحملون لهم الحب بعمق ويشبعون حاجتهم من الاعتبار الايجابى من خلال تكوين علاقات شخصية ناجحة مع الآخرين.

٧ - لديهم اعتبار إيجابى غير مشروط نحو الآخرين يماثل اعتبارهم الإيجابى غير المشروط نحو ذاتهم.

٨ - يعيشون حياة الحرية والتكامل فى كل لحظة، فهم يستجيبون بتلقائية لخبراتهم ويكيفون مفهومهم عن ذاتهم وشخصيتهم تبعاً لذلك فضلا عن توقعهم الجيد للمستقبل ومحاولة ضبطه والتحكم فيه.

٩ - لا يرون السعادة فى بعض المعايير والأنظمة الثابتة أو فى مدينة فاضلة ودنيا مثالية (يوتوبيا) ولكن يرونها مثل الرحلة دائمة التغير: «الحياة الطيبة حياة عملية وليست حالة من الثبات، إنها تكليف وليست تشريف» [١].

«١» نظريات الشخصية: مرجع سابق

يعـــتــبـــر «إبراهام مـــاسلو»: (١٩٠٨ - ١٩٧٠) الرائد الحقيقى الأشهر لهذا الاتجاه فى علم النفس.

ولقـد شـارك «مـاسلو» - «روجـرز» فى نظرته التفـاؤليـة للطبيعة البشرية، وهو يعتبر أن ميولنا الغريزية صحيحة من الناحية البنائية ومعتدلة أيضاً، كما أكد على قدرتنا المتأصلة لتحقيق نمو بناء، والاتصاف كذلك بالأمانة والرحمة والكرم والحب، ومع ذلك، يوافق «إريكســون» الرأي بأن هذه القــدرة الغريزية تكون فى البداية ضعيفة جداً ومن السهل سحقها من خلال القوى الثقافية والتعلم، «حاجات البشر تكون ضعيفة وغير فعالة، أنها تهمس ولا تصرخ، ومن السهل أن يُحجب الهمس».

نتيجـة لذلك فإن البيئـة المرضيـة يمكن أن تقضى على طاقتنا الإيجابية بسرعة وتثير الكراهية والدمار بالاضافة إلى سلوك قـهـر الذات، ويفـضل «مـاسلو» مـدخــلاً أكـثـر نقـاء للشخصية، وينصح علماء النفس أن يحترسوا من النظريات التى تسرف فى التفاؤل أو التشاؤم إزاء الطبيعة الإنسانية، ويقـول: «إن هدفى أن أدمج التـركـيـبـات الجـزئيـة النظرية للحقائق التى أراها فى نظريات «فرويد وأدلر ويونج وهورنى وفروم» وغيرهم، كما أن كتابات «فرويد» مازالت مطلوبة لكى

تقرأ من قبل علم نفس المدرسة الإنسانية، لأنها زودتنا على ما يبدو بالنصف المريض من علم النفس وعلينا أن نملأ النصف السوى، وهكذا يمكننا أن نعترض بقوة على الاعتقاد اليائس القاضى بأن الطبيعة البشرية فاسدة وشريرة بشكل أساسى، وأن نستنتج أن الكفاح من أجل السواء يجب أن يُقبل الان بلا نقاش على أنه ميل إنسانى عالمى وواسع الانتشار».

يتفق «ماسلو» مع «ألبورت وروجز»، ويؤمن بالنظرة المزدوجة حول الدوافع، فهو من ناحية يؤمن أن بعضاً من دوافعنا الغريزية تهدف إلى خفض دوافع كالجوع والعطش والزمان، والحصول على الحب والتقدير من الآخرين، وأطلق عليها دوافع النقص أو القصور. داخل الكائن الحي، وهذا النقص يجب أن يكُمل من خلال الموضوعات الخارجية والأشخاص المناسبين، وهذا النقص يعد شائعاً جداً لدى كل البشر، وفى المقابل لذلك فإن دوافع النمو تكون مستقلة بشكل نسبى عن البيئة، ومتصلة بالفرد.

وهذه الحاجات البشرية تشمل كل ما يزيد سعادة الآخرين كإعطاء الحب للغير بدون أنانية، وتطوير وتحقيق القدرات والإمكانات الداخلية، وفى حين يحاول الفرد خفض دوافع النقص أو القصور، يحاول زيادة دوافع النمو، يقول «ماسلو»: «النمو فى حد ذاته عملية مثيرة، ومجزية وتتضمن

على سبيل المثال تحقيق الحنين والطموحات مثل الطموح لأن يكون الفرد طبيباً ممتازاً أو الطموح لإكتساب المهارات التى يُعجب بها الآخرون كاللعب على الآلات الموسيقية أو أن يكون حتى نجاراً ممتازاً كما يتضمن الزيادة المضطردة لفهم الناس والكون وفهم الذات وتطور القدرة الإبداعية فى أى مجال، وأهم من ذلك كله أن يكون الفرد كائنا بشرياً ممتازاً.

وليس من الدقة أن نتحدث ببساطة عن خفض التوتر، والذى من خلال تطبيقه يمكن التخلص من أية حالة انزعاج لأن هذه الحالات لا تكون مزعجة دوماً».

ورغم أن حاجات النقص تقدم أهدافا أساسية مثل الحفاظ على الذات إلا أن دوافع النمو تميل إلى إظهار مستوى أكثر سواءً وأكثر إرضاءً للأداء، وتوجد بعض الاستثناءات لهذه القاعدة العامة، ولذلك يفضل «ماسلو» تعريف الدافعية الإنسانية بمصطلحات مختلفة، وهو لم يحاول إعداد قائمة بالحاجات النوعية للإنسان كما فعل «موراى» ويقول إن دوافعنا معقدة جدا ومتداخلة فى حين أن سلوكنا محدد تماما، لذلك فإن من المستحيل عادة شرح وتفسير الشخصية من خلال مفاهيم اصطلاحية عن الدوافع المستقلة والمتباعدة.

أما الترتيب الهرمى للحاجات الإنسانية عند «ماسلو» فيشمل الحاجات الآتية: (١) الحاجات الفسيولوجية (٢)

حـاجـات الأمـان (٣) حـاجـات الإنتـمـاء والحـب (٤) حـاجـات التقـدير والاعتبـار (٥) الحـاجـة لتحقيق الذات، وتمثل الحـاجـة لتحقيق الذات قمة الترتيب الهرمى للحاجات، وتتضمن كلا من الاكتشـاف، والاسـتـغـلال الأمـثل لما يتمتع به الفـرد من طاقـات وإمكانات فطرية «لتحقيق الذات خصوصيتها»، وحيث إن كل فرد مختلف عن غيره، فإن على الفرد أن يعمل ما يناسبه وما يستطيع أن يحقق فيه النجاح فقط، وعندما يكون الإنسان فى سلام مع نفسه فإنه يستطيع أن يكون كما يجب أن يكون أو كما يتمنى.

وينمو دافع تحقيق الذات بطريقة مماثلة لما هو عليه فى نظرية «روجرز» فيما عدا انه لا يصبح مهما أو حتى جدير بالملاحظة ما لم تشبع الحاجات الفسيولجية والحاجة للأمان والحب والتقدير ولو بشكل جزئى، لكن يمكن التسليم بالطبع بإمكان تطبيق النموذج الهرمى للحاجات على معظم الناس.

وقـد قـسم «مـاسلو» هذه الحـاجـات إلى حـاجـات عليـا وحـاجـات دنيـا، ثم أنه لـم يرفض مـقـولات فـرويد الخـاصـة للاشـهـور، لكنـه اسـتـبـدل «السـبـبـيـة» بما سـمـاه «الغـائيـة» أو القـصـدية الخـاصـة بالأهـداف التى نناضل من أجلهـا، ويقـبل «مـاسلو» أيضـاً أفكار «فـرويد» عن الكبت والإسـقـاط والتكوين العكسى والتبرير، لكنـه - بالنسبـة للشخصيـة - يرفض فكرة التركيبات النوعية.

ويختلف فى هذا الصدد مع «فرويد وسوليفان وإريكسون»، ويرى أن التركيبات النوعية أو المناطق الشبقية تعتبر مدخلاً غير ناضج أو مريضاً نوعا ما لدراسة الشخصية ويقول: «لا توجد حاجة معدية أو فمية أو مرتبطة بالأعضاء التناسلية إنما توجد فقط حاجة للفرد ككل، وهو يؤكد على أن أعظم اكتشاف لفرويد هو معرفته أن السبب الأكبر لأغلب الأمراض النفسية هو خوف الفرد من معرفته لذاته، وعواطفه، واندفاعاته، وذاكرته، وقدراته، وجهوده، وقدرة (نصيبه فى الحياة).

خصائص الأشخاص المحققين لذاتهم :

يشارك «ماسلو» كلا من «البورت وروجرز» اهتمامهما فى تحديد التوافق النفسى، لذا فقد ركز دراساته على الأشخاص القلائل الذين يعتبرهم قد حققوا المستوى الأعلى من إشباع حاجاتهم وحققوا ذاتهم أو من سماهم مكتملى الإنسانية full humanness مستخدما لذلك عينة صغيرة من الأحياء والشخصيات التاريخية مثل: توماس جيفرسون، أينشتين، روزفلت، جون أدمز، وليم جيمس، ألبرت شفايتزر، سبينوزا، وعلى الرغم من أن الأشخاص المحققين لذواتهم متفردون بطرق مختلفة إلا أنهم يشتركون فى الصفات الآتية:

١ - الدقة منقطعة النظير فى إدراك الواقع: فالأشخاص المحققين لذاتهم أكثر تحرراً من التفاؤل والتشاؤم والتشويهات الأخرى للواقع التى لا داعى لها، لذلك فقدرتهم أكبر على التمييز بين الحقيقة والوهم.

٢ - إنهم أكثر تقبلا للذات وللآخرين: فهم أكثر تجملا لزلات الآخرين وأقل ميلا لإصدار الأحكام على ذاتهم وعلى الآخرين لذلك يفتقرون إلى الشعور بالخزى والقلق ويشعرون بالذنب إزاء القصور الشخصى الذى كان من الممكن التغلب عليه.

٣ - انهم أكثر تلقائية ومعرفة بالذات: فهم يتصرفون بشكل طبيعى، تلقائى، ويدركون جيداً دوافعهم الحقيقية وعواطفهم وقدراتهم واختياراتهم، ولذلك فهم يسترشدون بنواميسهم الأخلاقية، وينتج عن ذلك إحساسهم بالغربة كما لو كانوا فى بلد أجنبى، ومن الصعب على الناس الآخرين أن يفهموهم.

٤ - إنهم أكثر تركيزاً على المشاكل: يميل الأشخاص المحققين لذاتهم للإهتمام بالمشاكل الخارجية بدرجة كبيرة، لكنهم لا يهتمون إلى حد ما بدراسة أفكارهم ودوافعهم ومشاعرهم، ويرون أن لديهم بعض المهام المحددة فى الحياة وهو يستنفد المزيد من طاقتهم، وغالبا ما تتضمن قضايا

فلسفية وأخلاقية واسعة، كما أن تعبيرهم عن انخفاض قلقهم إزاء التفاصيل الصغيرة يجعل الحياة أسهل ليس فقط بالنسبة لهم ولكن أيضاً لمن يرتبط بهم، إنهم يكرسون جهدهم ووقتهم لتحقيق التميز، ويحاولون تحقيق أهدافهم الشخصية على قدر إمكاناتهم البشرية.

٥ - إنهم أكثر حاجة إلى الخصوصية: يميل الأشخاص المحققين لذاتهم إلى الخصوصية والانعزال بدرجة كبيرة، أكبر من الأشخاص العاديين، هذا النوع من الانعزالية السوية الصحية يرجع فى جزء كبير منه إلى ميلهم إلى الاعتماد على مشاعرهم وقيمهم الخاصة الناتجة عن قلة حاجتهم لتأكيد آراء الآخرين، وهذه الخصوصية مكروهة من هؤلاء الذين يسيئون فهمها على أنها تكبر أو جفاء للأصدقاء أو عدائية للآخرين.

٦ - إنهم أكثر استقلالية ومقاومة للغزو والثقافى: أنهم تدفعهم الحاجة لإنجاز اختياراتهم أكثر من مجرد الرغبة فى البحث عن المكافآت الخارجية، فهم عادة ما يظهرون استقلالا واضحاً عن البيئة والآخرين من حولهم، وهم يتجنبون استخدام الأشياء الشعبية (التى يتعامل بها ويستخدمها أغلب الناس) بما فى ذلك الأفكار التى لا تتفق مع أحكامهم الشخصية.

٧ – لديهم إقبال أكبر على تجديد إعجابهم واثرائهم للاستجابات العاطفية: يعد إشباع الحاجة وتحقيق السعادة أمرا عرضا لديهم غالبا، وأى هدف ربما نحققه نحن مثل (النجاح المهنى، والزواج، والأطفال، وإمتلاك سيارة) قد نعتبرها بمنتهى السهولة أشياء منحت لنا، لأن لدينا إحساس باضمحلال الإبداع، أما الأشخاص المحققون لذاتهم يعيشون حياة أكثر ثراءً وعاطفة لأنهم يستمتعون دائماً بما يحققونه، لا بما يمتلكونه.

٨ – يتكرر لديهم أعظم مستوى من الخبرات: فمعظم الأفراد المحققين لذاتهم مروا بلحظات أسطورية من الشعور بالكمال المطلق، وخلالها تفقد الذات أو تذوب فى مشاعر عظيمة من النشوة وإثارة الإعجاب ، أو الرهبة من الله مثل الشخص الخادم للطبيعة فى نظرية يونج، وهذه الخبرات يصعب وصفها لمن لم يعشها، تنشأ هذه الخبرات من الحب، والجنس والتقدير الكبير لعمل موسيقى أو فن عظيم، وقد تكون لحظات بزغ فيها إبداع متدفق، أو لحظة تأمل عميق أو اكتشاف علمى باهر، أو الوصول لأقصى استغلال لقدرات الإنسان وجهوده، وأيا كانت هذه اللحظات فإن سعادتهم بما هو «مقدس» هى السبب الرئيسى الذى كانت من أجله تستحق الحياة أن تعاش.

٩ - لديهم درجة عظيمة من تكرار التعرف على الجوهر (الكينونة): غالبا ما ينشغل الأشخاص المحققون لذاتهم بنوع خاص من التفكير يمكن تعريفه بـ«معرفة الكينونة أو الجوهر»، والذى غالبا ما يصاحب الخبرات العظيمة وربما يحدث فى أوقات أخرى كذلك، فالمعرفة بالكينونة أو الجوهر شكل أساسى من أشكال الفكير الذى لا يمكن وصفه بدقة، ولا الحكم عليه، ولا يهدف لتحقيق أو إشباع بعض الدوافع ويؤكد على وحدة النفس والكون، وفى المقابل فإن قصور المعرفة وهو الأكثر شيوعا يمكن الحكم عليه، كما أنه يهتم بالغرض الضرورى لإشباع الدوافع الناقصة ويؤكد على انفصال الشخصى عن الأشياء المختلفة فى البيئة.

١٠ - الاهتملم الاجتماعى المبالغ فيه: يؤكد «ماسلو» وجهة نظر «أدلر» عن الشخص الناضج بأنه شخص لديه اهتمام إجتماعى ويرى أن الأفراد المحققين لذاتهم هم أشخاص ناضجون، يتوحدون بقوة مع النوع البشرى عموما، ويتميزون بتعاطف حقيقى، ولديهم رغبة فعلية لمساندة الآخرين، وإذا عبروا عن عدائهم وغضبهم إزاء أمر ما كانوا على حق فيه، وغالباً ما يكون ذلك لصالح طرف ثالث.

١١ - يكونون علاقات شخصية عميقة مع من يحبونهم.

١٢ - لديهم خصائص تكوينية أكثر ديموقراطية: يمتلكون قدرة على مصادقة الناس من كل الطبقات والشعوب والأجناس ولا يهتمون بمثل هذه الفروق، وغالباً ما نجدهم يقاومون بشدة الظلم والقسوة والتفرقة واستغلال الآخرين.

١٣ - أكثر تمييزا بين الخير والشر، وبين الوسيلة والغاية: يتمتعون بمعايير أدبية وأخلاقية قوية، ويتحملون مسئولية أفعالهم بدلا من محاولة تبرير أخطائهم وإلقاء اللوم على الآخرين، ويميزون بوضوح بين الوسائل والغايات وغالبا ما يركزون على الغاية.

١٤ - لديهم إحساس غير عادى بالدعابة: يكرهون الدعابة القائمة على العدائية والاستعلاء مثل نكات الإهانة أو التوبيخ، وبدلا منها يفضلون النكات الفلسفية، [1] وأخيراً يقول «مسلوا»: «لقد علمنى هؤلاء الأشخاص المحققين لذاتهم أن أرى أن ما كنت أعتقده قد منح لى كشخص عادى على أنه مرض أو شذوذ أو ضعف، وهو أن الكثير من الناس لا يتخذون قراراتهم بأنفسهم، ولكن يتخذها لهم مندوبو المبيعات وكلاء الدعاية والوالدان والجرائد والتليفزيون، وغير ذلك».

«١» نظريات الشخصية: مرجع سابق

علم النفس الوجودى

أبرز أعــلام هـذا الاتجــاه هـو عــالم النفس الأمــريكى «رولومــاى» ، بل إن أعـمــال «مــاى» المنشــورة تعــتبــر المصــدر الأساسى لعلم النفس الوجودى.

يبـدأ «مــاى» دراســاته النفـسـيـة للشـخـصـيـة من نقطة «الوجـود: فى العـالم» فنحن جـمـيـعاً تدفعنا الحـاجـة الفطرية للعيش فى العـالم الذى ولدنا فيـه، ولتحقيق أحسـاسنا الواعى أو غير الواعى (اللاشعورى) بأنفسنا كوحدة غـريزية مستقلة، وكلما قوى وجودنا فى العالم كلما أصبحت شخصيتنا أكثر ســواءً، وعلى أى حــال فــإن إثبــات الشـخص لوجـوده وإنجــازه لجـهـوده الداخليـة يتطلب جـهـدا مـستـمـراً وشـجـاعـة، كـمـا أن اختياراتنا وتمتعنا بحياة لها معنى إنما يتحقق من خلال إثبات وتأكيـد وجـودنا فى هذا العـالم حـتى فى مـواجـهـة الأعـراف الاجـتمـاعـيـة والتكيف مـع الضـغـوط، والمعـاييـر الوالدية غيـر الرشيدة، وتهديد الموت نفسه.

إن السمة المميزة للشجاعة هى القدرة على التعرف على مدى قناعة الشخص بنفسه، وليس بالعناد أو التحدى (فهذه تعبيرات دفاعية وليست شجاعة) وليست كإشارة للانتقام، ولكن لأن ذلك ما يعتقده الفرد حقا وببساطة «إنها ذاتى، انها

كيفونت» وذلك خلال تأكيده لذاته فخبرات الفرد هى هويته، أنا هو أنا، وما أستطيع».

ولأن «الحضور الوجودى» موضوع شخصى جداً، فلا يوجد شخص آخر يمكنه أن يخبرنا أو يخبر الفرد كيف أو ماذا يوجد فى هذا العالم؟ ويجب على كل واحد فينا أن يكتشف ويؤكد جهده وقيمه الخاصة، وهذا الأمر يمكن تحقيقه فقط إذا عايشنا الخبرة فى كل لحظة بنشاط وتلقائية وتقبلنا حريتنا ومسئوليتنا عن المسار الذى أخترناه لأنفسنا فى الحياة.

والحضور الوجودى يشبه الخبرة فى نظرية «روجرز»، من الصعب وصفه بالكلمات، فإحدى مريضات «ماى» قارنت اكتشافها الجديد المتمثل بوجودها فى هذا العالم بامتلاك سندريلا لحذائها لعدة سنوات لتكتشف فى النهاية انه يناسبها هى فقط.

وفى الحقيقة فإنه حتى الدوافع الإنسانية الأساسية مثل: الجنس والعدوان، تعد ذات أهمية ثانوية بالنسبة للحضور الوجودى، فالدوافع ما هى إلا تجريد وإدراك لأنفسنا بأننا نمتلكها وهى تجريد لأنفسنا من الصفات الإنسانية فنحن جوعنا وظمأنا وجنسنا ومشاعرنا وأفكارنا وغيرها، ومعايشة مثل هذه الخبرات هى الوجود فى الواقع أو إنسانيتنا المتميزة الحقيقية.

صور أو نماذج وجودنا فى العالم :

يشمل وجودنا الدنيامى فى الحياة ثلاثة نماذج متداخلة العلاقة فى الوقت نفسه (أو مناطق نشاط vegions)، وهى :

١ - العالم الخاص: عالم الموضوعات الداخلية والخارجية الذى يشكل بئيتنا النفسية والعضوية، ويعنى فى الأدب الوجودى (العالم من حولنا).

٢ - عالم المجتمع : العالم الاجتماعى للآخرين، ويعنى فى الأدب الوجودى (مع العالم).

٣ - علاقة الإنسان بنفسه: العالم السيكولوجى لعلاقة الإنسان مع ذاته وجهوده وقيمه الخاصة، وتعنى فى الأدب الوجودى (العالم الخاص).

وفى حين يفضل بعض أصحاب نظريات الشخصية التركيز على أحد هذه النماذج يرى علم النفس الوجودى ضرورة التركيز على النماذج الثلاثة بالدرجة نفسها حتى يتحقق لدينا فهم حقيقى للشخصية الإنسانية.

فالعالم الخاص هو النموذج الذى اهتم به «فرويد» بالاضافة إلى البيئة الطبيعية المحيطة بنا، أنه يُضمن نظريته حالة الحاجة التى يوضع فيها كل شخص بمجرد مولده كالجوع والعطش والنوع وغيرها، (أى الظروف الواقعية التى نولد بها

مثل وجود الحاجات الغريزية التى قُدّرت علينا سلفا، وثقافة معينة، والتى تمثل قليل من الأعتبارات لوجودنا، التى لا نستطيع التحكم فيها أثناء القيام باختياراتنا الشخصية

أما عالم المجتمع فتتدرج تحته حاجتنا الفطرية لتكوين علاقات شخصية بغرض تحقيق المصلحة الخاصة وليس لغرض التسامى بدوافعنا، ولا يستطيع أى فرد تحقيق وجود ذات معنى وهو فى عزلة، أما علاقة الإنسان بنفسه فهى العالم المتفرد للإنسان المتضمن الوعى بالنفس self - awareness كما فى نظرية «روجرز»، أو معرفتنا بأننا مركز وجودنا وادراكنا لجهودنا الخاصة، وهذا النموذج يتضح عندما نحكم بدقة على ما نفعله أو ما لا نحبه أو ما نحتاجه أو نُقيم خبرة شخصية، وعلى العموم فإن الشعور بالفراغ أو الاغتراب الذاتى يعكس بعض التشويه فى علاقة الإنسان بنفسه.

وعلى العكس من مفهوم «إريكسون» عن «الهوية» فإن علاقة الإنسان بنفسه والحضور الوجودى لا تعتمد على الأداء والتوقعات التى تظهر من الآخرين، ويعبر «ماى» عن ذلك بقوله: «إذا كان اعتبارك أو تقديرك لذاتك يقوم فى مداه الطويل على التأثير الاجتماعى فلن يكون لك تقدير لذاتك، ولكن يصبح لديك صورة مبسطة من الانسجام الاجتماعى، كما أن الحضور الوجودى لا يتساوى على مفهوم «فرويد» علن الأنا، فمعرفة النفس على أنها الكينونة أو الوجود الذى يستطيع أن

يتفاعل مع العالم شيء حوهرى، وأن هذا الوجود أسبق من أى تفاعل مع البيئة[1]

والأفكار الأساسيه التى تقوم عليها آراء «ماى» بعد ذلك ترتبط بالمفاهيم الوجودية الرئيسية مثل: اللاوجود، والقلق، واللامعصومية أو الشعور بالذنب، والقصد، والحب والرعاية، وصراع الخير والشر، أما فكرة الشخصية على وجه الخصوص فيجب أن نقف معها وقفه خاصة.

تتبنى السيكولوجية الوجودية النظرة التكاملية للشخصية بحيث تعتبر أن الشخصية هى مجموع ما تحتويه من حضور وجودى، وقلق، وشعور بالذنب، وحب وغير ذلك، فهى غير مهتمة بإبراز إسهامات الخصائص الوجودية فى تلخيص التركيب البنائى للشخصية لأنها كما قلنا تهتم بالمدخل التكاملى، ويوافق «ماى» على أهمية العمليات اللاشعورية وحيل الدفاع النفسى كالكبت والتبرير والإسقاط والعزل (فصل المشاعر عن الأحداث) ورود الفعل العكسى.

ولذا فهو يرى أن أفضل نتاج فكرى لفرويد هو نقله فلسفة سقراط «إعرف نفسك» إلى أعماق وآفاق جديدة شملت مجال اللاشعور، لكنه يغطى بتفسيره هذه المساحة الواسعة من الدوافع والسلوك والذى اضطر إلى تفسير

«١» المرجع السابق

سلوكيات مثل إنجاب الأطفال، والجنس، وعقد الصفقات، والتخطيط للحروب كلها كنتيجة للرغبات اللاشعورية والقلق[1].

وعلى الرغم من ذلك فإنه عندما نكبت القلق، والحب (الايروس) وصراع الخير والشر (وهذه أمور تحدث لكل البشر) فإن ذلك لا يكون بسبب صراع بين مكونات الشخصية (أى أن جزءا منها فى حرب مع جزء آخر مثل صراع الهو مع الأنا الأعلى عند فرويد)، ولكن «ماى» يرى أن ذلك يرجع لأن الفرد ككل تنقصه الشجاعة ويختار أن يتجاهل هذه الخصائص الإنسانية المهددة - أو بتعبير «فروم» - أنه يهرب من حريته بدلاً من أن يعرف ذاته، وهو قرار خاطىء ويؤدى به إلى فقدانه لحضورة الوجودى.

ولقد تساءل «ماى» عن السمات الجوهرية التى تجعل المريض النفسى شخصاً موجوداً، والتى تؤلف هذه الذات بوصفها ذاتا؟ وهو يقترح فى الإجابة، ست سمات، يعتبرها من السمات الأنطولوجية، لكنه يقرر منذ البدء أنه لا يجب علينا أن ننظر إلى العصاب بوصفه إنحرافا عن نظرياتنا الخاصة عما ينبغى أن يكون عليه المرء، وهو يسمى تلك السمات (بالمبادىء).. فماذا يقول عنها؟ يقول (ماى): أليس من الأحرى <u>أن يكون العصاب - تحديداً -</u> هو المنهج الذى يتخذه المرء

«١» المرجع نفسه.

للحفاظ على مركزه الخاص، على وجوده الخاص؟ وما أعراضه سوى طرائق يلجأ إليها لتقليص رقعة عالمه حتى يحمى مركزية وجوده ضد الخطر الذى يهدده، أو هى وسيلة لإبعاد جوانب البيئة حتى يمكنه أن يكون بعدئذ ملائما للجوانب المتبقية.

وكل شخص موجود يتصف بصفة توكيد الذات، وبالحاجة إلى مركزيتها والاسم الذى نطلقه على توكيد الذات لدى الكائنات البشرية هو «الشجاعة»، والتركيز الذى يقوم به «بول تيليش» على «شجاعة أن نكون» مهم جداً، ومقنع، ويتسم بالخصوبة بالنسبة للعلاج النفسى فى هذا المجال، وهو يلح على أن الوجود بالنسبة للإنسان لا يعطى تلقائيا قط، كما هو الحال فى النباتات والحيوان، إنما يتوقف على شجاعة الفرد، وبدون هذه الشجاعة يفقد الإنسان وجوده، وهذا يجعل من الشجاعة نفسها لازمة أنطولوجية ضرورية، لذلك يعلق «ماى» أهمية كبيرة على تعبيرات المريض المتعلقة بالإرادة والقرارات والاختيار.

يقول «ماى»: مبدؤنا الثالث إذن هو: إن الفرد يشعر بالحاجة أو يتمتع بإمكانية الخروج من مركزيته لمشاركة الكائنات الأخرى، وهذا يقتضى دائما نوعا من المخاطرة، فلو مضى الكائن العضو أبعد من اللازم، لكان عرضة لفقدان

مـركـزيتـه وهويتـه، وهذه ظاهرة يمكن أن نـراها بسـهـولـة فى العـالم البيـولوجى، فإذا كـان المريض بالعصـاب يشـعـر بخـوف شديد من أن يفقـد مـركزه الذى يدور فيـه الصـراع إلى درجـة يحجم معها عن الخـروج ويتراجع متصلباً ليعيش فى ردود فعل ضيقة، وفى رقعة منكمشة من العالم، فإن نموه وتطوره يتوقفان.

هذا هو النمـوذج فى صنوف القـمع والكبت العـصـابيـة، وهى الأشكال العـصـابيـة الشـائعة على أيام «فـرويد» ولكن فى أيامنا هذه التى تسود فيها المطابقة وتشيع فيها المسايرة ويسود فيهـا الإنسـان المتجه إلى الخـارج فإن أكثر النمـاذج العـصـابيـة شيوعـا يتخذ الشكل المضـاد، أعنى تشتيت الذات فى المشاركة والتطابق مع الآخرين حتى يتم تفريغ المرء لوجوده.

مـبـدؤنا الرابع هو: أن الجـانب الذاتى من التـمـركـز هو «الوعى» والشكل الإنسـانى الفـريد للوعى هو الشـعـور بالذات، ولا ينبـغـى أن نطابق بين الـوعـى وبين الشـعـور، فـالشـعـور ليس مجرد الوعى بالخطر الصـادر عن العـالم، إنما هو قـدرتى على معـرفـة نفسى بأننى - أنا - الشـخص المهدد، أى خـبـرنى بنفسى بوصفى الذات التى لها عالمها، فالشعور على تعبير «جولد كورت شـتـاين» هو: قـدرة الإنسـان على تجـاوز الموقف المعين المبـاشـر ليـعـيش فى حـدود الممكن، وهو يكمن وراء قـدرة الإنسـان على

استخدامه التجريدات الكلية، وعلى أن تكون له لغة ورموز، هذه القدرة على الشعور هى التى تكمن وراء المجال الواسع من الإمكانيات التي يتمتع بها الإنسان فى إقامة العلاقات بعالمه وهى التى يتكون منها الأساس الأولى للحرية النفسية.

وهكذا تتخذ الحرية الإنسانية قاعدتها الأنطولوجية، وأعتقد أنه لابد من إفتراضها فى العلاج النفسى جميعه، ولقيام الشعور بالذات، يصبح الجنس صيغة (جشتالت) جديدة، فالدوافع الجنسية مشروطة دائما - عندئذ - بشخص الشريك، فإن ما نعتقده عن هذا الشريك لا يمكن إستبعاده بأي حال من الأحوال، وحقيقة أن الشخص الذاتى الآخر الذى نتصل به جنسياً لا يحدث أقل إختلاف فى الجنسية «العصابية»، هذه الحقيقة تثبت دعوانا إثباتاً راسخاً لأن هذا الموقف يتطلب من المنافذ على الشعور بالذات واغتياله وتشويهه.

إن ما نعالجه فى العصاب هو تلك السمات أو الوظائف التى تتميز بأنها إنسانية، فهذه هى التى انحرفت عن الجادة فى المرضى المختلين، وشرط هذه الوظائف هو الشعور بالذات، وهذا الشعور بالذات اكتشفه «فرويد» فى النموذج العصابى الذى يتميز بإغلاق الشعور.

مهمة المعالج النفسى إذن لا تنحصر فى مساعدة المريض على الوعى فحسب، بل إنها أكثر دلالة إذ تساعده على تحويل هذا الوعى إلى شعور بالذات، فالوعى هو معرفته بأن ثمة أشياء تهدده من الخارج فى عالمه، بيد أن الشعور بالذات يضع هذا الوعى على مستوى مختلف تماماً، إنها رؤية المريض إنه الشخص الذى يتعرض للتهديد، إنه الموجود الذى يقف فى هذا العالم المهدد، وأنه الذات التى لها عالم، وهذا يمنحه إمكانية النظر إلى الداخل، أو البصيرة الباطنية، ورؤية العالم ومشكلاته فى علاقتها بنفسه، ومن ثمة يمنحه هذا إمكانية أن يفعل شيئاً بصددها.

أما السمة الأخيرة بالنسبة للشخص الموجود فهى «القلق»، والقلق هو حالة الكائن الإنسانى فى صراعه ما يهدد بتحطيم وجوده، إنه على حد تعبير «بول تيليش»: «حالة الوجود فى صراعه مع العدم» وهو الصراع الذى صوره فرويد أسطوريا فى الرمز القوى المهم لغريزة الموت، وسيكون أحد جناحى هذا الصراع موجها دائماً ضد شىء ما خارج الذات، ولكن الشىء الأكثر دلالة من حيث الاحتمالات بالنسبة للعلاج النفسى هو: الجانب الداخلى من المعركة، أعنى الصراع الدائر داخل الشخص وهو يواجه ما إذا كان سيقف ضد ذاته، وإلى أى مدى، وإمكانياته الخاصة، فالشعور نفسه ينطوى دائماً على

إمكانية التحول ضد الذات، وإنكار الإنسان لنفسه، وتتلازم الطبيعة الإنسانية مع هذه الحقيقة وهى أن الشعور نفسه يقتضى الإمكانية والإغراء بأن يقتل ذاته فى كل لحظه [1].

ويفهم من ذلك أن المرض فى نظر «ماى» هو: المنهج الذى يتبعه المرء للحفاظ على وجوده، وأن أعراض هذا المرض ما هى إلا وسائل لتحجيم مجال عالمه الشخصى وإنكماش مساحة هذا العالم بهدف الحفاظ على مركزيته ضد ما يتهددها من مخاطر، وبالتالى فإن وجهة النظر نفسها هذه تدل على مدى قصور التصور التقليدى للعصاب والذى يرى أن العصاب هو عملية الإخفاق فى التكيف.. وهكذا يمكننا أن نفهم إلى أى مدى يمثل علم النفس الوجودى إنقلاباً جذرياً على المفاهيم والرؤى التقليدية لعلم النفس عموما، والتحليل النفسى الفرويدى خصوصا، وإن ظلت النظريات والرؤى التقليدية - للأسف - هى الشائعة، ولعل شيوعها هذا يشير إلى نمط الواقع القائم على المشاركة والتطابق ومدى ما يكرسه هذا الواقع من تهديد للذات الإنسانية.

«١» الشذوذ النفسى: عاطف عمارة، سابق

الفصل الثالث:
اختبر شخصيتك

اختبار مركب النقص

تعتبر دراسة الشخصية قاصرة إذا لم تعتمد على مجموعة من الاختبارات والمقاييس التى تحدد الكثير من السمات أو الأبعاد الأساسية للشخصية، ولهذا الغرض صمم علماء النفس الكثير من الاختبارات والمقاييس والاستفتاءات، وبعض هذه الاختبارات تقيس سمات أو أبعادا معينة للشخصية، وبعضها الآخر يركز على عدد أكبر من السمات والأبعاد، كما يهتم بعضها بقياس بعدى الشذوذ - السواء فى الشخصية.

والشخصية عموما لا يمكن دراستها إذا أغفلنا بعض ما يكتنفها من المركبات النفسية المعروفة مثل عقدة أو ديب أو الكترا، أو مركب النقص، أو إغفال دراسة بعض قدراتها مثل القدرة على حل المشكلات، والقدرة على التوافق مع العالم الخارجى، وهناك الكثير من الاختبارات التى صممت خصيصا لقياس هذه القدرات.

وقد تناولنا - فيما سبق - موضوع مركب النقص، لذلك لن نستطرد هنا فى الحديث عنه، ونكتفى بالقول أنه من المركبات الشائعة التى كثر الحديث عنها فى نطاق الأبحاث والدراسات النفسية، كما يجب أن نلفت النظر إلى ضرورة التفرقة بين العقد النفسية من جهة والأمراض النفسية من جهة أخرى، فهذه التفرقة لها أهميتها العظمى فى الدراسات النفسية (راجع كتابنا: الشذوذ النفسى).

ولعل إختبار مركب النقص التالى يكون أقرب شبها إلى اختبارات أخرى مثل إختبار الثقة بالنفس الذى يتضمن أسئلة مثل:

- هل تتحدث إلى الغير بصوت واضح مسموع؟
- هل تسير رافع الرأس ثابت الخطى؟
- هل تسيطر على كل جنوح للإنغماس فى أحلام اليقظة؟
- هل تمقت الإخفاق وتتحدى الفشل؟
- هل تسير فى حياتك وفقا لبرنامج يهدف إلى تحسين مستقبلك؟
- هل تعلمت أن تحتفظ بهدوئك طوال الوقت؟
- هل تفعل شيئا لإزالة مخاوفك وأسباب قلقك؟
- هل تعنى بمظهرك وهندامك أمام الغير؟



والآن إذا أردت أن تطبق هذا الأختبار بنفسك، كن صادقا إلى أقصى درجة مع نفسك وأجب عن الأسئلة التالية بكل صدق وأمانة.

فإذا كان جوابك «بنعم» على أكثر من نصف الأسئلة التالية فهذا يعنى أنك لا تجابه الحياة كما يجب وما عليك إلا أن تغير وجهة نظرك، فهذه الأسئلة من شأنها أن تكشف لك عن المشاعر السلبية التى تعانيها، خصوصا ثقتك بنفسك، ومركب النقص - إذا وجد - وهو يفتح أمامك الطريق - بالتالى - إلى مراجعة النفس بعد معرفتها وتصحيح مسارها فقط أجب عن الأسئلة التالية بكل صدق وأمانة : -

(١) هل يتهمك البعض بأنك تمدح نفسك كثيراً وأنك متعجرف أو مغرور إلى حد ما؟

نعم لا

(٢) هل تخجل عندما يعرّفك بعض الأصدقاء أو الأقارب على آخرين؟

نعم لا

(٣) هل تشعر بالحقد أو الحسد أو الغيرة إذا رأيت أصدقاءك ناجحين؟

نعم لا

(٤) هل تغضب إذا ضحك قوم في مزاحهم معك؟

نعم لا

(٥) هل تتعمد قول ما يغضب الآخرين أحياناً؟، وهل ترتاح نفسياً لذلك؟

نعم لا

(٦) هل يجعلك طموحك للنجاح تعيساً؟

نعم لا

(٧) هل تعارض اقتراحات معلميك ووالديك لإصلاحك؟

نعم لا

(٨) هل تعتقد انك لست أهلا لمغازلة الجنس الآخر؟

نعم لا

(٩) هل تمشي بخطى ثابتة وقوام مستقيم؟

نعم لا

(١٠) هل تتكلم بلهجة واضحة وصوت واثق مسموع؟

نعم لا

(١١) هل تفضل عملا بمعاش ثابت إذا كان بمقدورك المخاطرة بمشروع؟

نعم لا

(١٢) هل تعتقد أن بمقدورك أن تكون أقدر وأفضل مما أنت الآن؟

نعم لا

(١٣) هل تعتمد على نفسك فى الحكم على أعمالك اليومية؟

نعم لا

(١٤) هل تشك فى قوتك ومقدرتك على العمل بجد أكثر؟

(١٥) هل باستطاعتك مقاومة الأفكار التى تأتيك ولا فائدة ترجى منها؟

نعم لا

اختبار الشخصية

المقصود من اختبار الشخصية هو: إختبار السمات الإيجابية، والسلبية، ولاتساق مع العالم، والإتساق مع النفس، وقوة التفكير، وتكامل الشخصية عموما، وعدم التناقض بين أفكارها وسلوكها..

وهناك إختبارات القياس الأبعاد المتعددة، كما أن هناك مقاييس لقياس بعد معين، ومن أشهر اختبارات الشخصية إختبار «برنرويتر» لقياس درجة توافق الفرد والسمات الأخرى الشخصيته، ويتكون هذا الاختبار من ستة مقاييس : مقياس الميل العصابى، ومقياس الاكتفاء الذاتى، ومقياس الإنطواء - الإنبساط، ومقياس السيطرة - الخضوع، ومقياس الثقة بالنفس ومقياس المشاركة الإجتماعية.

وهناك أيضاً اختبار الشخصية المتعدد الأوجه الذى وضع أساسا لقياس جميع الجوانب المهمة المتعددة للشخصية، ولهذا الاختبار صورتان إحداهما فردية تحتوى على ٥٥٠ عبارة كل واحدة منها مطبوعة على بطاقة مستقلة، والصورة الأخرى جمعية، مطبوعة فى كتيب يحتوى على ٥٦٦ عبارة وورقة الإجابة، وتتوزع العبارات فى هذا الاجتماع إلى ٢٦ قسما منها الصحة العامة، والجهاز العصبى والحركة والتوافق والحساسية والعادات والأسرة والحياة الزوجية والمهنة والتعليم والاتجاهات نحو الجنس الآخر والدين والسياسة والقانون والمجتمع والإنفعالات الإكتئابية والهوسية وحالات الحسر والقهر

والهذيان والخداع والهلوسة والمخاوف المرضية والميول السيادية والماسوشية والذكورة والأنوثة وغيرها.

وهناك أيضاً الاختبارات والمقاييس الإكلنيكية وأشهرها مقياس توهم المرضى (هـ. س)، ومقياس الانقباض (د) وتحتوى هذه الاختبارات على عبارات مثل:

- إننى أعمل تحت ظروف من التوتر العصبى العنيف
- من المؤكد أننى قليل الثقة بنفسى
- أشعر فى كثير من الأحيان شعوراً قوياً بأننى عديم الفائدة

أما مقياس الهستيريا (هـ. ى) فيضم عبارات أخرى مختلفة ، منها على سبيل المثال:

- أصاب أحيانا بنوبات من الغثيان والقلق
- نومى مضطرب وقلق
- الا حظ أن يداى ترتجفان عندما أحاول القيام بعمل ما

وهناك اختبارات كثيرة لا يمكن حصرها فى هذا الحيز الضيق، وقد اخترنا أبسط أنواع اختبارات الشخصية، وهو أيضاً من الاختبارات الشهيرة الشائعة الكثيرة الاستخدام، ويمكنك من خلال الإجابة على الأسئلة التى يحتويها الاختبار أن تتعرف على الكثير من السمات المميزة لشخصيتك، فقط، عليك أن تجيب عن الأسئلة التالية بكل صدق وأمانة.

والعلامة المثالية فى الاختبار التالى هى «الصفر» إذا حصلت على معدل يبلغ المائة والخمسين فأنت شخص عادى.

	نعم	لا	؟
(١) هل هناك شخص أود التسوية معه لأنه لا يعاملنى كما يجب؟	٥٠	٠	٢٥
(٢) هل أغضب على شخص يقف أمامى فى حشد من الناس؟	١٠	٠	٥
(٣) هل استطيع المناقشة والجدل دون استهزاء أو سخرية؟	٠	٢٠	١٠
(٤) هل ألتذ لسوء حظ الآخرين؟	٢٠	٠	١٠
(٥) هل أعتقد أن من طلب المغفرة عن خطأ خليق بأن يعطى فرصة أخرى للتجربة؟	٠	٢٠	١٠
(٦) هل أعطى صوتى فى الانتخابات لشخص ليس من قومى أو دينى أو ما شابه؟	٠	٢٠	١٠
(٧) هل أحب الحديث إذا لم يكن لطيفا؟	٢٥	٠	١٥
(٨) هل أنا مستعد لدفع الضرائب لرفع المستوى الاجتماعى فى البلاد؟	٠	٢٥	١٥
(٩) هل استطيع الإجابة ببرود على سؤال فيه مساس بكرامتى؟	٠	٢٠	١٠
(١٠) هل أعطى مثلا صالحا للأطفال فى أقوالى وأعمالى؟	٠	٢٠	١٠
(١١) إذا طعن شخص بالحديث فى غيابه، هل استطيع الدفاع عنه إذا استحق ذلك؟	٠	٢٠	١٥
(١٢) هل علمت نفسى كيف أتمالك أعصابى ولا أخاف؟	٠	٢٥	١٠
(١٣) هل أغتنم الفرص عندما يحالفنى الحظ؟	٠	٢٠	١٠
(١٤) هل أنا عضو فى جمعية خيرية واحدة على الأقل؟	٠	٢٥	١٥
(١٥) هل سمعتى حسنة فى المكان الذى أعيش فيه؟	٠	٢٠	١٠
(١٦) هل أخصص جزءاً من معاشى لمساعدة الآخرين؟	٠	٢٠	١٠

	نعم	لا	؟
(١٧) هل أعتقد أن باستطاعة الإنسان تحسين أحواله؟	٠	٣٠	١٥
(١٨) هل أنا معروف بخفة الظل وحسن العشرة؟	٠	٣٠	١٥
(١٩) هل أعامل أفراد عائلتى كأصدقائى الذين أحبهم؟	٠	٢٥	١٠
(٢٠) هل استطيع تحمل الهزيمة دون اليأس من الحياة أو الناس؟	٠	٣٠	١٥
(٢١) هل أتحاشى الناس الذين يزعجونى؟	٠	٢٠	١٠
(٢٢) هل أفكر بأنى أستحق أكثر مما أحصل عليه من معاش؟	٠	٣٠	١٥
(٢٣) هل أنا أقوى صحيا وعقليا مما كنت عليه أمس؟	٠	٣٠	١٥
(٢٤) هل أقوم بأعمال مفيدة للمستقبل؟	٠	٣٠	١٥
(٢٥) هل أمتنع عن تقديم الشكر والمديح لمن يستحق؟	٢٠	٠	١٠
(٢٦) هل أحافظ على مواعيدى؟	٠	٥٠	٢٥
(٢٧) هل أفكر بتحسين نفسى؟	٠	٣٠	١٥
(٢٨) هل أفكر فى تفهم الغير؟	٠	٢٠	٥
(٢٩) هل أستطيع تمالك أعصابى عندما يكون الناس حول متهيجين؟	٠	٣٠	١٥
(٣٠) هل تتفوق آمالى على أفكارى الأخرى؟	٠	٢٥	١٥

إختبار القسوة على الذات

تتجلى الشخصية لصاحبها أو للآخرين من خلال السلوك ومن خلال المواقف التى تكشف عن سلوكياتنا، وبالقدر نفسه تكشف هذه السلوكيات أيضاً عن علاقتنا بالعالم المحيط بنا وعلاقتنا بالاشخاص الذين نتعامل معهم، وكذلك علاقتنا بأنفسنا فكثيرا ما تجعلنا هذه المواقف نتصلب فى السلوك، ونحترس إزاء نقد الآخرين لنا فنعدل من سلوكنا ولا نتصرف بتلقائية، وأكثر من ذلك تدفعنا تلك الاعتبارات إلى القسوة على الذات.

وإذا استمرت سلوكيات القسوة على الذات فإنها تتحول على «عادات نفسية» وتدل عندئذ على أعراض مرضية يجب الوقوف أمامها بشىء من التأمل والتحليل، لأنها تدل على علاقات مشوهة مع العالم والآخرين والنفس، لذلك يجب أن نبحث عن أصل هذه السلوكيات وأسبابها بالتعمق فى التحليل الذاتى، وبتطبيق اختبارات الشخصية لهذه الغرض وهى كثيرة جداً منها الاختبار الذى اخترناه هنا لهذا الغرض.

وهناك أيضاً إختبارات أوسع وأكبر، يمكنها أن تلقى الضوء على حالتنا الصحية النفسية، وأهمها اختبار الشخصية السوية، وهو الاختبار المقتبس من اختبار الشخصية والميول «لإريخ متن إكرا» و«فالترتومان» ويحتوى هذا الاختبار على ١٢١ فقرة تشمل تسعة مقاييس هى:

١ - النقد الذاتى -نقص النقد الذاتى.

٢ – الاتجاه نحو المجتمع – الإتجاه ضد المجتمع.
٣ – الانبساط – الإنطواء.
٤ – غير عصابى – عصابى.
٥ – غير الهوس – الهوس.
٦ – عدم الإكتئاب – الإكتئاب.
٧ – غير المنفصم – المنفصم.
٨ – غير برانويا – برانويا.
٩ – ثبات عمل الجهاز العصبى التلقائى – عدم ثبات الجهاز العصبى التلقائى.



ويكفى لكى تختبر ميلك إلى القسوة على النفس أن تجيب على أسئلة الإختبار التالى بصدق وأمانة فإذا كانت إجابتك (بنعم) على الأسئلة التالية فى هذا الاختبار أكثر من الإجابات التى تعطيها كله (لا) فأنت من الشخصيات التى تقسو على ذاتها، ويتوجب عليك عندئذ أن تتوقف قليلا مع ذاتك لدراستها وتحليل مشاكلها حتى تصل إلى قدر معقول من التوازن النفسى الذى يخفف عنك حدة القسوة على الذات.
وكل ما عليك هو الإجابة بصدق عن الأسئلة التالية:

(١) هل تجرب القيام ثانية بمشروع فشلت به مرة قبل ذلك؟

نعم   لا

(٢) هل تسر إذا سمعت الناس يرثون لآلامك؟

نعم   لا

(٣) هل تقاصص نفسك إذا إرتكبت خطأ عادياً؟

نعم   لا

(٤) هل تشعر أنك لست أهلا لمعظم الأعمال كالآخرين؟

نعم   لا

(٥) هل تأكل طعاما تعرف أنه يضرك وأن صحتك لا تتحمله؟

نعم   لا

(٦) هل تقبل أن يكون عملك وسطا إذا كان باستطاعتك تحسينه؟

نعم   لا

(٧) هل ترفض المناسبات التى تفسح لك المجال بالتكلم، لأنك خجول فى الاجتماعات؟

نعم   لا

(٨) هل تقصر باتباع برنامج معين يوفر لك الراحة الجسدية والنوم؟

نعم   لا

(٩) هل تدخن كثيراً؟

نعم   لا

(١٠) هل تجعل الجو العائلى فى بيتك ساكنا إذا كنت عضبانا من أحد عملائك أو زملائك؟

نعم   لا

(١١) هل تحرم نفسك من التعرف على شخصيات بارزة لأنك لا تحضر إجتماعات باستطاعتك حضورها؟

نعم لا

(١٢) هل تقصر فى زيارة طبيبك الخاص عندما تشعر بألم؟

نعم لا

(١٣) هل تظن أنك مذنب لأنك لا تكتب لأصدقائك أو أقاربك؟

نعم لا

(١٤) هل تضيع مناسبات تفتح لك مجالا للتعرف على أصدقاء كثيرين لأنك لا تصرف وقتا خاصا لمساعدتهم فى ملمة ما؟

نعم لا

اختبار الطبيعة النفسية (الرومانتيكية)

الشخصية الرومانتيكية هى شخصية أصحاب المزاج الاجترارى، وأهم سماتها أنها شخصية عاطفية حساسة غير واقعية، خيالية، تستغرق فى أحلام اليقظة، وتفتخر إلى القدرة على فصل المشاعر عن الأحداث، فهى شخصية إنفعالية متمركزة حول الذات.

والعامل الرومانتيكى، أو هذا الطابع هو ما أعطاه «كاتل» الرمز (M) فى قائمة السمات التى وضعها للشخصية والتى يجرى عليها تحليلاته العاملية، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع من قبل، لكننا نؤكد هنا أن عامل الرومانتيكية من العوامل الشائعة جداً فى الشخصية الإنسانية، خاصة فى المجتمعات الشرقية، وهذا العامل يطبع الشخصية بطابع يتجلى فيما يلى:

- التكرار والإجترار الشعورى والفكرى والتذكرى
- عدم الواقعية
- الحساسية الشديدة
- الاستغراق فى أحلام اليقظة
- عدم الثقة فى النفس
- عدم الميل إلى توكيد الذات
- الطبيعة الدرامية القابلة للتأثر والإيحاء والتى تغلب

عليها الانفعالية
- التأثر بآراء وأفكار شخصيات الغير والإنقياد لهم
- القابلية للاستهواء والتقمص
- عدم القدرة على فصل المشاعر عن الأحداث
- عـدم القـدرة على ألحكم الموضـوعى على الأفكار والأحداث.

فالطبيعة الرومانتيكية المتطرفة للشخصية تعتبر من السمات غير السوية فى الشخصية، وقد أعد علماء النفس الكثير من الاختبارات والمقاييس التى تقيس عامل الرومانتيكية فى الشخصية ولكننا أخترنا أبسط وأشهر الاختبارات التى يمكنك بها التعرف على طبيعتك النفسية عموما، وميولك الرومانتيكية خصوصا، ويمكنك الاسترشاد بالخصائص التى ذكرناها فيما سبق لمعرفة الدلالة الخاصة بإجاباتك عن الأسئلة التالية وكل ما عليك هو أن تجيب بكل صدق، وأن تختار الإجابة المناسبة بدون تحيز للذات أو مجاملة للنفس.



وأخيراً...

نكتفى بهذه النماذج من الاختبارات الشخصية لضيق الحيز، ونحيل القارىء والراغب فى المزيد منها إلى كتابنا الذى

يحمل عنوان: «شخصيتك فى الميزان» ففيه سيجد الكثير من الاختبارات التى تفى بحاجته، وإليك أسئلة إختبار الطبيعة النفسية (الرومانتيكية):

(١) أحب أكثر ما يكون من الوظائف التالية:

أ - حارس فنار.

ب - بائع.

جـ - مساعد فى مختبر.

(٢) فى جماعة من الناس، أحب :

أ - التكلم كثيراً.

ب - الاستماع.

ج - الاستماع والكلام

(٣) بعد الحفلات عادة :

أ - أنظر ما إذا قلت شيئا محتمل المعانى المتعددة.

ب - أردد ذكر الحوادث التى كنت فيها موضوع البحث

ج - أفكر فى حوادث الحفل إجمالاً

(٤) إذا وقف أحدهم أمامى فى الصف، فأول ما يمكن أن أفعله:

أ - أغضب ولكنى أسكت.

ب - أضج بصوت عالى

ج - لا أفكر بالأمر كثيراً.

(٥) أحب من الأفلام :

أ - السرية والبوليسية.

ب - الغربية الراقصة.

ج - الدراما أو القصة الروائية التمثيلية.

(٦) الأبطال الذين أحبهم هم عادة :

أ - فلاسفة وعلماء.

ب - قواد ورحالة.

ج- سياسيون ورجال الأعمال.

(٧) الزوج أو الزوجة المثالية فى رأيى:

أ - هادئة معظم الوقت.

ب - تتكلم وتضحك كثيراً.

ج - تتغير من وقت إلى آخر.

* ملحق:

الجداول التوضيحية:

جدول (١)

علاقة النمط الجسمى بالنمط المزاجى والشخصية عند «شيلدون»

النمط الجسمى	النمط المزاجى	الشخصية
النمط الداخلى التركيب Endomorph يميل إلى البدانة	النمط الحشوى الأساسى Visceerotenia يميل إلى الاسترخاء	الداخلى Endo / viscerotone
النمط المتوسط التركيب Mesomorph يميل إلى القوة العضلية	النمط الجسمى الأساسى Somalotonta يميل إلى توكيد الذات	المتوسط / الجسمى Meso / Somatetonia
النمط الخارجى التركيب Ectomorph يميل إلى النحافة والوهن	النمط المخى الأساسى Cerebrotonta يميل إلى الكبت	الخارجى / المخى Rcte / Cerebrotone

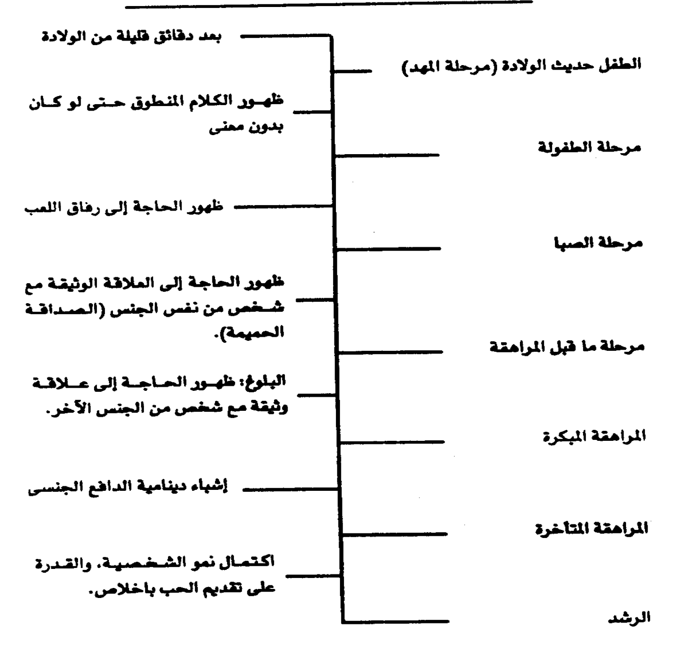
جدول (٢)

انماط الشخصية ومراحل النمو لدى (فرويد)

اسم المرحلة	المنطقة الشبقية	الوصف	مصدر الصراع	خصائص الشخصية
الفمية	الفم واللسان والشفتين	تستمر من الميلاد حتى سنة ونصف السنة وتتميز بالإعتمادية والسلبية فى البداية لكنها تصبح عدوانية سادية عندما تظهر الأسنان وتستطيع العض.	التغذية	شخصية ذو سلوك فمى كالتدخين والأكل، تتميز بالسلبية والسذاجة (وقد تكون على النقيض من ذلك.
الشرجية	الشرج	تبدأ من حوالى سنة إلى ثلاث سنوات حيث تتعلم بعض القدرة على التحكم فى البيئة عن طريق التحكم فى البراز وترتبط بالسلوك العدوانى والسادية.	تدريبات الحمام	النظام - البخل - العناد (والعكس).
البولية	الحالب (مجرى يحمل البول من المثانة).	لا توجد غرائز واضحة	تبليل السرير	الطموح والعكس
القضيبية	القضيب والبظر	تحدث بين ٢ ـ ٥ سنوات	عقدة أوديب	الغرور - التهور - والعكس
التناسلية	القضيب والمهبل	من ١٢ سنة حتى الرشد وهى هدف النمو الطبيعى.	مواجهة صراعات الحياة	الصدق مع الآخرين. والإزاحة الفعالة أو سمو الجنس والمتعة الواقعية.

جدول (٣)

مراحل النمو وخصائصها عند (سوليفان)



جدول (٤)

الفروق بين نظريتى «فرويد وإريكسون» فى طبيعة وتركيب الشخصية

مجال المقارنة	نظرية الهى لفرويد	علم نفس الأنا لإريكسون
الهى	أحط مكونات الشخصية، توجد عند الميلاد، اى نولد مزودين بها، لا شعورية ولا اخلاقية.	مماثلة ولكن بدرجة أقل قوة.
الأنا	◆ الأصل: يبدأ تطورها عن الهى عند ٦ - ٨ شهور. ◆ خصائصها: كالراكب الضعيف يقاوم فى يأس لكى يسيطر على الحصان الجامح، تركز ببطء على إشباع اندفاعات الهى بالطريقة التى ترضى كل من الأنا الأعلى والعالم الخارجى. ◆ ميكانيزمات الدفاع: تستخدم ببطء لكى تحمى النفس، والتهديدات الخارجية واندفاعات الهى المحرمة والقلق.	◆ الأصل: يبدأ تطورها مستقلة عن الهى بعد الولادة مباشرة. ◆ خصائصها: قوية إلى حد ما وتتحكم فى نفسها (تحكما ذاتيا)، تتجه مباشرة نحو الأهداف البناءة كالسيادة والتكيف مع البيئة. وظائفها غير مرتبطة بإشباع اندفاعات الهى، والسعادة لمايشتها للواقع. ◆ ميكانزمات الدفاع: مكون توافقيا ودفاعيا فى الوقت نفسه كما يحدث عندما تأخذ اندفاعات خيالية فى حل مشكلات شخص ما وتصبح أساساً فى تكوين أهداف واقعية.
الأنا الأعلى	تشمل المثاليات والقيود التى تم غرسها من قبل المجتمع وربما تكون ضعيفة أو قوية وحازمة.	مماثلة تماما.
نمو الشخصية	تكتمل تماما عند حوالى ٥ سنوات من العمر.	تستمر مدى الحياة من الميلاد حتى الشيخوخة
المجتمع	مصدر حتمى للصراعات والإحباطات، حيث إن اندفاعات الهى المحرمة وغير الواقعية يجب أن تتسامى، وهو عبء خارجى يفرض على الأنا.	ليس من الضرورى أن يكون مصدرا للصراع والإحباط، حيث إن وظائف الأنا تحليلية، ويمكن أن تعبر عن نفسها بصورة مستقلة. تزويد التدعيمات واحيانا المعوقات للأنا بالأدوار الإجتماعية وبهويتها.
الليبدو	الطاقة النفسية التى تحرك كل الأنشطة العقلية.	هناك تشابه جوهرى غير أن تأكيد إريكسون على الليبدو أقل، لأن اهتمامه الأكبر ينصب على الأنا والقوى الاجتماعية.
وجهة النظر حول الطبيعة الإنسانية	متشائمة بسبب التأكيد على الاندفاعات المحرمة والقوية للهى.	أكثر تفاؤلا لأن القوى الأعظم تخص الأنا العاقلة والمتكيفة.

جدول (٥)

الإتجاهات: وانماط الشخصية عند (يونج)

الوظائف	منبسط	منطوى
المفكر	يتميز بسعيه لتفسير وفهم الحقائق التى تدور حوله فى العالم الخارجى، والقواعد العقلية والمناقشات الفكرية، يحسن التوقع والتنبوء، والاكتشاف وحل المشكلات، مصلح إجتماعى، يعيش طبقا لنظام ثابت - موضوعى وجاف، وإيجابى بدوره. ويكون وجدانيا منطويا لا شعوريا بصورة قوية.	يتميز بسعيه لهم وتفسير الحقائق التى تدور حول ذاته. قد يصبح فيلسوفا أو سيكولوچى وجودى أو عالم شارد الذهن، إذا كان رجلا فقد يخشى النساء. وجدانى منبسط لا شعوريا بصورة قوية.
الوجدانى	يؤكد على الأحكام التى تتطابق مع القيم الخارجية، وعادة يكون (محافظ) على القديم، يتقبل بلا تشكك الحقائق والمعايير الشائعة من كل نوع - اجتماعى - لكن قد يبدو متقلب ويجنح لنزواته - ومتفاخر - وهذا النوع يشيع بين النساء. لا شعوريا يكون منطويا مفكرا بصورة شديدة.	يؤكد على الأراء التى تتعلق بأحواله وظروفه الداخلية الذاتية متحرر وغالبا ما يبدى وجهة نظر اعتراضية على المعايير والحقائق الشائعة، يبدو باردا متحفظا، غامضا، لديه انفعالات خفية قوية. هذا النوع أكثر شيوعا بين النساء. لا شعوريا يكون منبسطا مفكرا بصورة جادة.
الحاسى	يتميز بادراكه للعالم الخارجى كما هو عليه بالفعل، واقعى وغير خيالى - شهوانى - يبحث عن المتعة واللذة - اكثر شيوعاً بين الرجال. لا شعوريا يكون حدسى منطويا.	يتميز بتاكيده على النتيجة الذاتية كما يدركها، يرى العالم الخارجى على أنه مبتذل وبال (رث)، ربما يكون فنانا عصريا، أو موسيقيا. لا شعوريا يكون حدسى منبسطا.
الحدسى	يؤكد على (يتميز) بالبحث عن احتمالات جديدة فى العالم الخارجى، ربما يكون مضاربا، مقاولا، متسلقا - هو اجتماعى - لا يستطيع الاستمرار فى وظيفة أو نشاط، ينقصه سداد الرأى. هذا النوع اكثر شيوعا بين النساء. لا شعوريا يكون منطوى حاسى.	يؤكد على (يتميز) بالبحث عن احتمالات جديدة فى النفس الذاتية (فى ذاته. ربما يطور (ينمى) استبصارات (نظرات) جديدة متألقة لامعة (براقة). أو ربما يكون حالما غامضا ومهووسا Crank, Prophet أو عبقرى غير مفهوم. لا شعوريا يكون منبسط حاسى.

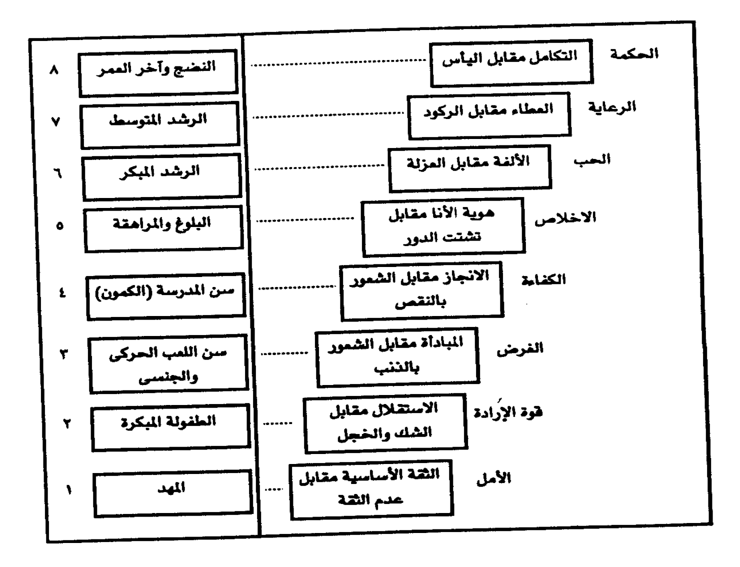
جدول (٦)

الشعور واللاشعور الجمعى عند (يونج)

	الشخصى	الجمعى
الشعور	**الأنا :** جهاز معقد من الأفكار الشعورية والتى تكون مركز الإدراك عند الشخص، وتمده بمشاعر الهوية الذاتية، والاستمرارية، وتبدأ تتكون فى السنة الرابعة من العمر، ناتجة عن الأحساسات الجسمية والخبرات التى تتصل بذات الفرد، وهى الجزء الوحيد الشعورى فى الذات، وإليها يرجع أيضا ما يسمى بعقدة الأنا . Ego - Complex	**القناع:** هو الوجه الخارجى من الشخصية، وهو وجه خاص وضع خصيصا ليقابل حاجات المجتمع بينما يخفى خصائصه الطبيعية الداخلية، ويسهل القناع الإتصال بالناس عن طريق معرفة سلوكهم المحتمل أو المتوقع.
اللاشعور	**اللاشعور الشخصى:** ويحوى المواد غير الموجودة فى متناول الشعور ويصعب عليه إدراكها لأنها قد نسيت أو كبتت أو حده لها تسامى وهو الوسيط بين اللاشعور الجمعى والشعور. **الظل:** يبدأ فى التكوين منذ الميلاد، ويحوى المواد البدائية، والواخزة للضمير وغير المرغوبة من الشخصية، إضافة إلى أية خصائص إيجابية تكون متعارضة مع القناع ولذلك تكون متعارضة مع الشعور.	**اللا شعور الجمعى :** عبارة عن مخزن يحوى التمهيدات الكامنة أو المتسترة التى تقدم العالم للفرد بطريقة خاصة. **الأنماط الأولية :** وهى موروثة من أسلافنا الأوائل، وتوجد مع الميلاد، وتمثل الطبقة العميقة والمتعذر الوصول إليها من الشخصية وتحوى القناع، والظل، والأنماط الأولية تسهل نمو التصورات المرتبطة بأى موضع فى الشخصية.

جدول (٧) *

المراحل الثمانية للنمو عند (إريكسون)



* الجداول عن: نظريات الشخصية: د / محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء، ١٩٩٨، القاهرة.

المصادر

❖ بحوث فى السلوك والشخصية: د. أحمد عبد الخالق، وآخرون، دار المعارف، ١٩٨١.

❖ سيكولوچية الشخصية: د. سيد محمد غنيم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

❖ تحليل الشخصية: محمد خليفة بركات، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥١

❖ الشذوذ النفسى: عاطف عمارة، هلا بوك شوب، المكتبة السيكولوچية، القاهرة، ١٩٩٦.

❖ العقل المتحرر: عباس المسيرى، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣.

❖ الشخصية المثالية: عاطف عمارة، هلا بوك شوب، المكتبة السيكولوچية، القاهرة ١٩٩٦.

❖ نظريات الشخصية: د. محمد السيد عبد الرحمن، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨.

❖ مختارات علم النفس: أرنست هلجارد، ت: عبد الرحيم عجاج، ألف كتاب أول، عدد (١٥٤).

❖ شخصيتك فى يدك: جيمس بندر، ديل كارنجى، لى جراهام، ت: بشاره جميل المرّ، دار حمد، بيروت.

❖ علم النفس الحديث: معالمه ونماذج من دراساته، د. مصطفى سويف، الانجلو المصرية، ١٩٦٧.

❖ أسس التربية وعلم النفس: أحمد يوسف، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

المحتويـــــات

المقدمة ٣

الفصل الأول ٧

تعريف الشخصية ٨

تكوين الشخصية ٩

نمو الشخصية ٥١

بناء الشخصية ٧٣

الفصل الثاني ٩٣

نظرية الذات ٩٤

الإتجاه الإنسانى فيَ علم النفس ١١٤

علم النفس الوجودي ١٢٤

الفصل الثالث ١٣٥

أختبر شخصيتك ١٤٠

ملحق الجداول التوضيحية ١٥٢

المصادر ١٥٩

الفهرس ١٦٠